

مجنون ليلى

مأساة غرامية أدبية تاريخية ذات خمس فصول



مارون عبود

مجنون ليلي

مأساة غرامية أدبية تاريخية ذات خمس فصول

تأليف

مارون عبود



الناشر مؤسسة هنداوي سي آي سي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

٣ هاي ستريت، وندسور، SL4 1LD، المملكة المتحدة
تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي سي آي سي غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره،
وإنما يعبّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: عبد العظيم بيدس.

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ١٨١٣ ٧

جميع الحقوق الخاصة بالإخراج الفني للكتاب وبصورة وتصميم الغلاف
محفوظة لمؤسسة هنداوي سي آي سي. جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا
العمل خاضعة للملكية العامة.

Artistic Direction, Cover Artwork and Design Copyright © 2019

Hindawi Foundation C.I.C.

All other rights related to this work are in the public domain.

المحتويات

٩	أسماء الممثلين
١١	الفصل الأول
٢٧	الفصل الثاني
٤١	الفصل الثالث
٥٧	الفصل الرابع
٦٧	الفصل الخامس

لا تقولوا زمان قيس تولّى
وَمَحَبُّوْ ذَا الْعَصْرِ أَعْظَمُ نِيْلًا
كَانَ قَدَمًا مَجْنُونٍ لَيْلَى وَحِيدًا
وَعَدَا الْيَوْمَ أَلْفَ مَجْنُونٍ لَيْلَى

أسماء الممثلين

قيس: المجنون.

الملوَّح: والدُه.

سعاد: أختُه.

ليلى: عشيقَة قيس.

مهدي: والدُها.

زينب: أمها.

سعد: الأمير الذي يتزوَّجها.

علقمة: الطبيب.

جوان: عامل الخليفة.

بكر وخالد: خادمان.

أسد: عابر طريق.

رعاة، رسل، جارية، شعب.

الفصل الأول

بيت شعر في البرية

المشهد الأول

(قيس وحده)

أيا ليلَ زند البين يقدح في صدري
فلا تحسبي يا ليلَ أني نسيتكم
فوالله لا أنساك ما هبت الصبا
ألا ليتنا كنّا غزالين نرتعي
ألا ليتنا كنّا حمامي مفازة^٢
ألا ليتنا حوتان في البحر نرتمي
ألا ليتنا نحيا جميعًا وليتنا
ضجيعين في قبرٍ عن الناس معزلًا
عليك سلام الله يا غاية المُنَى

ونار الأسى ترمي فؤادي بالجمرِ
فإنّ مدى الأيام ذكرك في فكري
وما نعق الغربان في وضّح الفجرِ
رياضًا من الجوزان^١ في بلدٍ قفرِ
نطير ونأوي بالعشيّ إلى الوكرِ
إذا نحن أمسينا نغور في البحرِ
نصير إذا متنا ضجيعين في قبرِ
ونُقَرَن يوم البعث والحشر والنشرِ
وقاتلتني حتى القيامة والحشرِ

^١ الجوزان: نوع من النبات، منها جوز الحمس؛ وهو ثمر شجرة هندية، وجوز المرج؛ وهو الكاكنج وهو صمغ شجرة تنبت في جبال هراة وصمغها لطيف في برودة كافورية.

^٢ المفازة: الفلاة التي لا ماء فيها، الجمع مفازات ومفاوز.

آه لو تعلمين يا ليلي مقدار محبتي لرقِّ قلبك على قتيل غرامك. أنتِ بين قومكِ تلتَهينَ
وأنا على نار النوى أَتَقَلَّب!

نهاري نهارٌ طال حتى مللتهُ وحُزني إذا ما جَنَّني الليل أطولُ
وكنتُ كذَّبَّاحِ العصافير ذائبًا وعيناهُ من وجدٍ عليهنَّ تهملُ
فلا تنظُرِي ليلي إلى العين وانظري إلى الكفِّ ماذا بالعصافير تفعل

لقد سار حبي سير الأمثال، وكثر في شأننا القيل والقال، ولكنني لا أبالي بكل ذلك
ما دامت ليلي راضيةً عني.

تقول العدا لا بارك الله في العدا لقد صدَّ عن ليلي ورثتُ رسائله
فلو أصبَحْتُ ليلي تدبُّ على العصا لكان هوى ليلي جديدًا أوائله

فما أحلى تلك الأيام التي انفتح بها قلبي لنسيم الحُبِّ يوم كان الوُشاةُ غافلين عَنَّا
ونحن نتعاطى كنُوس الهوى.
جميلة أنتِ يا أيامًا كنتُ بكِ ويلي راقدين في حُسن البرية لا تخترق صدورنا أسهُم
عيون الواشين.

تعشَّقتُ ليلي وهي غُرٌ صغيرة ولم يبدُ للأتراب من نَدْيها حجم
صغيرين نرعى البُهم يا ليتَ أنَّا إلى الآن لم نكبُر ولم تكبرِ البُهم

المشهد الثاني

(قيس - ليلي - جارية)

(ليلى تدخل بغتة.)

حبيبي ما هذي الصبابة والنجوى فقلبي من أمواه حُبِّك لا يروى
أروم لقاءً والزمان مُعاندي وليس لنا في شرع أهل الهوى فتوى

إِذَا كُنْتَ تَحْوِي مِنْ غَرَامِي ذَرَّةً
أَبَيْتُ وَمَا لِي فِي الدُّجَى مِنْ مُسَامِرٍ
فَأَهْلِي قَسَاةٌ لَمْ يَرْقُوا لِحَالَتِي
يَقُولُونَ خَلِّيْ مَجْلِسَ النَّاسِ جَانِبًا
فَلَا حَبْدًا النَّصْحَ الَّذِي يَنْصَحُونَنِي
فَعِنْدِي مَا تَنْهَدُ مِنْ ثَقْلِهِ رَضْوَى^٢
وَأَشْكُو وَلَكِنْ لَيْسَ مِنْ يَسْمَعِ الشَّكْوَى
وَمَا جَهِلُوا أَنِّي مِنَ الْحُبِّ فِي بَلْوَى
فَإِنَّ الْهَوَى يَسْرِي إِلَى الْعَيْنِ كَالْعُدْوَى
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْحَبَّ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى

قيس:

نَهَارِي نَهَارِ النَّاسِ حَتَّى إِذَا بَدَا
أَقْضِي نَهَارِي بِالْحَدِيثِ وَبِالْمُنَى
إِذَا مَرَّ يَوْمٌ مِنْ حَيَاتِي وَلَا أَرَى
تَضْيِيقَ عَلَيَّ الْأَرْضِ حَتَّى كَأَنَّنِي
لِي اللَّيْلِ هَزَّتْنِي إِلَيْكَ الْمَضَاجِعُ
وَيَجْمَعُنِي اللَّيْلُ الَّذِي الْهَمَّ جَامِعُ
خِيَالِكَ يَا لَيْلَى فَعُمْرِي ضَائِعُ
مِنَ الصَّبْرِ فِي سَجْنٍ، فَمَا أَنَا صَانِعُ؟!

ليلى:

قَدْ بَرَانِي الْهَوَى وَبَرَّحَ جَسْمِي
فَإِذَا سَرْتُ بَيْنَ قَوْمِي شَكُّوا
وَبِكَلٍّ أَرَى بِحَبِّكَ يَا قَيِّدَ
فَابِقُ يَا مُهْجَتِي أَلَيْفَ سُرُورٍ
وَتَحَمَّلْتُ مِنْهُ شَرًّا وَبَالًا
أَنَا سَرْتُ بَيْنَهُمْ أَمْ خِيَالِي
سَ حَيَاةً تَحْيَا بِهَا آمَالِي
فَسِوَاكُمْ مَا مَرَّ قَطُّ بِبَالِي

قيس:

أَحْبَبُكَ حَبًّا لَوْ تُحْبِبِينَ مِثْلَهُ
حَلِيفُ مَعَ الْغَزْلَانِ أَمَّا نَهَارُهُ
فِيَا نَفْسَ صَبْرًا لَا تَكُونِي لَجُوجَةٍ
وَلَكِنَّ مَا هَذِي الْقَطِيعَةُ وَالْجَفَا
أَصَابَكَ مِنْ وَجْدٍ عَلَيَّ جَنُودُ
فَحَزَنُ وَأَمَّا لَيْلَهُ فَأَنْبِيْنُ
فَمَا قَدْ قَضَى الرَّحْمَنُ فَهُوَ يَكُونُ
فَقَدْ دَاخَلْتَنِي رِيْبَةً وَظَنُونُ

^٢ جبل في جزيرة العرب بالقرب من المدينة المنورة، يرد ذكره في الشعر العربي كثيرًا مثلاً للثقل والثبات.

ليلى:

كلانا مظهرٌ للناس بُغْضًا وكلُّ عند صاحبه مكينٌ
وكيف يفوت هذا الناس شيءٌ وما في الناس تظهرهُ العيونُ
فطب نفسًا بذاك وقرَّ عينًا فإنَّ هواك في قلبي معينٌ

الجارية (إلى ليلي): إن أباك أوشك أن يدخل فانتبهني.
ليلى: اخرج يا قيسُ اخرج. الوداع الآن.
قيس: إلى الملتقى يا حبيبتي.

المشهد الثالث

(ليلى - مهدي)

ليلى: مرحبًا يا والدي الحنون.
مهدي: وألف سلام يا عزيزتي كيف سبقتنا يا بُنية إلى هذا المكان، ومَنْ كنتِ
تُحدِّثين؟ ألم يكن هنا ذلك العاشق الساقط؟
ليلى: ومَنْ تُعني؟
مهدي: عنيْتُ قيس الملوِّح يا عزيزتي الذي جعل عرضك مُضغة في أفواه الناس،
فالذي أراه يا بُنية هو أن تقطعي حبل العلاقة بينك وبينه لئلاَّ تَجْزينا إلى حربٍ كحرب
البسوس^٤ وداجس^٥.

^٤ حرب البسوس: من الحروب الشهيرة في الجاهلية، جرت بين تغلب وبكر ودامت أربعين سنة، وسُميت بالبسوس؛ لأن سبب اشتعال الحرب جرح أصاب ضرع ناقةٍ للبسوس، وهي خالة جَسَّاس بن مُرَّة، رآها كليب بن ربيعة التغلبي ترعى في أرضه فرماها بسهمٍ أصاب ضرعها، فلمَّا رأتها البسوس صاحبها أخذت تُحمس بني قومها على الثأر لناقتها؛ فكمَن جَسَّاس لكليب ورماه فقتله، فثارت تغلب بقيادة المهلهل واشتعلت الحرب.

^٥ حرب داجس: هي في الحقيقة حرب داجس والغبراء أو حرب السباق، جرت بين عبس وذبيان، ودامت زهاء أربعين سنة. وداجس اسم جواد والغبراء اسم فرس، والسباق بينهما كان سبب هذه الحرب، نبغ فيها أبطال عظام كعنترة بن شداد العبسي، وشُعراء عظام كزُهير بن أبي سلمى وعنترة.

ليلي: حبُّ قيسٍ يجزُّ كلَّ هذا الويل؟

مهدي: نعم يا بنية، إنَّ غرام قيس لم يسبقه إليه عربيٌّ يغلي في عروقه دم الشرف، ولا يرضى به والد ابنةٍ عُرِفَ بين قومه بعلوِّ المنزلَةِ وعزَّةِ الجانب.

ليلي: ماذا أصنع يا أبي وحبُّه قد تمكَّن من قلبي ورضعتُ هواهُ مع اللَّبن.

مهدي: ويحك، أتُصرِّحُين بهذا ولا تخجلين؟! لقد نَضَبَ ماء الحياء من وجهك وأعمى الهوى بصيرتك، فأين حياء العذارى يا حرَّة^٦ العرب؟!

ليلي: رُحماك أبي، إنَّ الحبَّ سلطان وله تعنو^٧ القلوب. ألم تحبَّ يا أبي؟ ألم تعشُق في زمانك؟!

مهدي: لقد عشقتُ، ولكن إلى ما وصل إليه هذا المجنون لم يصل أحد؛ فدرجة حبِّه لا تُقاس وُغرامُه فوق غرام الناس!

ليلي: هو شاعرٌ يا أبي والشُّعراء يُغالون بكلِّ شيء، فأشفقُ على ابنتك واعلم أنَّني مجنونة في هواهُ؛ بُعدُه يُقرِّبني من الموت وبُقرْبِهِ سعادتي الحقيقية.

مهدي: دعي هذه الأعدار الفارغة، واعلمي أنَّني لا أصبر على الإهانة، وأقسم برَبِّ الكعبة إذا وقعتْ عيني عليه في خيمتك قطعته شطرين بحدِّ هذا المُهند. ليلي ليلي، احذري فالعاقبة وَخيمة.

ليلي: رفقاً أبي. (تركع) أنا مُنطَرِحة على قدميك أسألك وأتذللُ إليك أن لا تأسِر عواطفِي.

مهدي: انهضي يا قليلة الحياء، فلقد دنَّستِ بغرامكِ الفاسد هوى فتياتنا العذري.

ليلي:

ومن صرَّف الليالي ضاق صدري	أبي إنَّ الهوى العذريَّ عذري
أراك بفرطٍ وجدي لست تدري	فرَفَقاً بالقلوب أبي ولكن
وحلو لقائهم بالشهد يُزري	فبُعد أحبَّتِي يُدمي فؤادي

^٦ الحرَّة: السيدة التي تنتمي إلى طبقة السادة، وكانت تُنادى بها كل عربيةٍ دلالةً على سُمُو مكانتها ورفعة نسَبها.

^٧ تعنو: تسجُد وتخضع.

مهدي: ما هذه الوقاحة! أتبوح بِحُبِّها على مَسْمعي ولا تخجل. لقد حذَرْتُكَ شَرَّ العاقبة وأنا ذاهب فافعلي ما يَحُلُو لِكَ (يخرج).
ليلي: لا يَحُلُو لي غير لقاء الحبيب، ولكن دون ذلك خُرْط القتاد^٨ فمتى تُحَطِّمَ قيود التقاليد وترتفع سُلْطة الآباء والأمّهات عن القلوب؟ هذه السلطة الجائرة التي لم يأمر بها الخالق ولم تنزل على نبيٍّ من الأنبياء. ويحكم أيها الآباء الأغرار! ألم تكونوا عُشَّاقًا قبلنا؟ ألم تذوقوا بليَّة الحب؟ فلماذا لا ترحمون؟! سوف تلعنكم الأعصار وكلُّ بلاء العاشقين يسقط على رءوسكم، ودم المُحِبِّين يصرُخ طالبًا الانتقام منكم أيُّها الظالمون.

المشهد الرابع

(ليلي - جارية - مهدي)

جارية: هل من حاجة أقضيها لك؟
ليلي: لا. (تفكر).

(جارية تهمُّ بالخروج).

ليلي: ارجعي، ارجعي. أتعرفين ذلك الشاب الذي كان عندي منذ هُنيهة؟
جارية: تعنين قيس العامري؟

ليلي: هو، هو بعينه. اقصديه وقولي له: إنَّ مولاتي ليلي تُريد أن تراك فأسرِع إليها فهي بانتظارك في المكان المعهود.

جارية: وأين هو الآن؟

ليلي: في الوادي.

جارية: أمرك يا سيدتي (تمشي لتخرج).

مهدي (يدخل بغتةً ويمسك الجارية بكتفها قائلاً): إلى أين يا رسولَ الخنا؟! فلولا أن يُقال خرَقَ حُرْمَةَ العرب لقتلتُكِ في الحال. اخرجي يا خائنة قَبَّحَ اللهُ وجهك (يصفعها بيده). وأنتِ أيتها الابنة الطائشة، ألم أقل لك إنَّني أذيقك كأس الحُتوف إذا عرفتُ أنك تُحدِّثين هذا الشابَّ فيما بعد، فكيف تجرؤين على استدعائه إليك؟!

^٨ خُرْط القتاد: القتاد شَجَرٌ قاسٍ ذو شوكٍ كأنَّه الإبر، وفي المثل: دونه خُرْط القتاد؛ أي أنَّ الأمر بالغ حدٍّ الاستحالة لصعوبته، فهو أصعب من احتمال خُرْط القتاد.

الفصل الأول

ليلى: ما هذا الجور يا أبي؟ أين رحمتك الوالدية؟!
مهدي: اخزسي ثلثتك أمك؛ ففحكتك لم تسبقك إليها ابنة من بنات الحسب.
ليلى: وظلمك لم يرتكبه سيد من سادة العرب.
مهدي: ما هذه الجسارة؟
ليلى: وما هذا البغي؟
مهدي: احذري الظهور بعد الآن من خبائك.
ليلى: هيهات أن يخفف هواه تحجبي؛ فهو مصور أمام عيني وإن لم تعتنق الأجساد
تتعانق الأرواح.
مهدي:

دواؤك في حدّ هذا المهنّد فلا بدّ من أن يصدرِكَ يُعمدُ

ليلى: افعل وأرحني من هذا الشقاء.
مهدي: بل أنقذ شرفي من العار إذا فعلت.
ليلى: اقتلني ولا تُهني.

فالموت عذبٌ في سبيل غرامه والموتُ فيه للمحبِّ حياةٌ

مهدي:

إنَّ الشريف إذا تدنّس عرضه يغدو بقتل مُدنّسيه كريماً
ولأنّ قد دنّستِ عرضي فالحقي بالسابقين لكي أعيش عظيمًا

(يستلّ سيفه مُحاولًا طعنها.)

ليلى: اضرب ولا تخف.

المشهد الخامس

(ليلي - مهدي - زينب - خالد)

زينب (تدخل بعجلة وتتناول مهدي بذراعه): ما هذا الجنون؟! لقد أرعبت قلبي.
أقتل ابنتك؟!

مهدي: نعم، أقتلها لأنّك شرفي من العار.

زينب: لا؛ هذا لا يكون. ألا تُشفق على شبابها الناصر؟

مهدي: لأنّها لم تُشفق على مجدي والمفاخر.

ليلي: أيّ ذنب اقترفت يا الله؟ ولماذا أضرمت بقلبي شعلة الحبّ يا ربي؟ اقتلني

يا أبي إذا كان قتلي يلذّ لك وبه سلامة شرفك.

مهدي: اصمتي واسلّكي طريق الآباء والأجداد.

ليلي: ومن منهم لم يعشق ولم يُحب؟

زينب: اسكّتي يا بُنية اسكّتي.

مهدي: يا خالد. يا بكر. يا خالد.

خالد: لبّيك سيدي.

مهدي: انتظر قليلاً (يأخذ قلمًا وورقًا ويكتب).

زينب: ماذا تكتب؟ دَعِ الحماقة يا مهدي.

مهدي: بعد قليل سترين ما يكون.

زينب (على حدة): آه يا بُنية لقد كدّرت عيشنا بغرامك.

ليلي: ارحميني يا أمّاه، فأنت امرأة وتعرفين قلوب النساء. إنّ أبي قاسٍ فلا تكوني

مثله، وكوني مع ابنتك لا عليها.

مهدي (إلى خالد): خذ يا خالد هذا الكتاب وادفعه إلى الخليفة ابن مروان.

خالد: أمرك مولاي.

زينب: ربّك ما كتبت له؟

مهدي: إصدار أمره بهذر دم قيس إذا انتهك حرمة شرفي فيما بعد.

ليلي: لم يَسْبَقْكَ إلى هذا أحدٌ يا قاسي.
زينب: اسْكُتِي يا ليلي.
ليلي: يَطْلُبُ قَتْلَ حَبِيبِي وَأَسْكُتْ؟!
مهدي: إن لم تَسْكُتِي أَسْكُتَكَ الموت (يخرج).

المشهد السادس

(ليلي - أمُّها - خالد)

زينب: ما هذا الجُنون يا بُنية؟ لقد كنَّا عذارى ومِثْلَ حَبِّكِ لم نُحِب. ألمَ تَعْلَمِي أن والدكِ قد فعل ما فعل مُحَافِظَةٌ على شرفكِ؟
ليلي: آه يا أُمِّي لو كُنْتُ تَشْعُرِينَ شُعُورِي لِأَشْفَقْتِ عَلَيَّ وَمَهَّدْتِ السَّبِيلَ لِعَقْدِ قِرَانِي.
زينب: لَعَيْنِيكَ أَفْعَلْ مَا تَرُومِينَ، فَاخْتَارِي مَنْ تُرِيدِينَ وَأَنَا أُمَهِّدُ الْعُقُبَات.
ليلي: إِذَا أَقْنَعِي وَالِدِي أَنْ يَزْفَنِي إِلَى حَبِيبِي.
زينب: هَذَا مُحَالٌ يَا لَيْلِي.
ليلي: إِذَا أَمُوتِ وَلَا أَسْفُ عَلَى الْحَيَاة.
زينب: يَا لِلْجُنُونِ! الْأَجَلَ شَابَّ تَمَوَّتِينَ وَبَيْنَ طُلَّائِكَ أَشْرَفُ مِنْهُ وَأَجْمَلُ؟!
ليلي: لَا دَخَلَ لِلشَّرَفِ وَالْجَمَالِ فِي الْحَبِّ؛ فَغَيْرُهُ لَا أَهْوَى أَبَدًا مَا دُمْتُ فِي قَيْدِ الْحَيَاة،
حتى ولو كان الخليفة ابن مروان.^٩
خالد: سَيِّدَتِي، مَوْلَايَ يَدْعُوكَ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ صَمَّمَ النِّيةَ عَلَى مُغَادَرَةِ هَذِهِ الْبُقْعَةِ.
ليلي: يَا لِلْمُصِيبَةِ! وَمَا أَمْرٌ بِعَادِكَ يَا قَيْسُ!
زينب: تَنْبَهِي يَا بُنْيَّةُ فَقَدْ قُضِيَ الْأَمْرُ (تخرج).

^٩ ابن مروان: هو الخليفة الأموي الخامس عبد الملك بن مروان (٢٦-٨٦هـ/٦٤٦-٧٠٥م)، وُلِدَ بِالْمَدِينَةِ، وَتَوَفَّى فِي دِمَشْقَ، وَحَدَّ الْخِلَافَةِ بَعْدَ أَنْ قُضِيَ مُصْعَبُ وَعَبْدُ اللَّهِ ابْنِي الزَّبِيرِ. اشْتَهَرَ بِتَعْرِيبِ الدَّوَاوِينِ، وَبِتَعْرِيبِ الطَّرَازِ، وَبَسْكَ النُّقُودِ الذَّهَبِيَّةِ، دَامَتْ خِلَافَتُهُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً مِنْ ٦٥-٨٦هـ.

المشهد السابع

(ليلي وحدها)

تُعَايِدُنِي الأَيَّامُ فِي وَصَلٍ مِنْ أَهْوَى
فِيَا رَبِّ لَمْ أَبْدَعْتَهُ الْبَدْرُ فِي الْبَهَا
تُحْمَلُنِي الأَيَّامُ مَا لَا أَطِيقُهُ
أَلْقَى مَدَى الأَيَّامِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
أَحَاوِلْ إِرْوَاءَ الْغَلِيلِ بِنَظَرَةٍ
لِكُلِّ ابْنِ أَنْثَى فِي الْبَرِيَّةِ مَضْجَعٍ
كَطِيرٍ إِذَا أَلْقَى عَلَى الْغُصْنِ رِجْلَهُ
وَحَقُّ الْهَوَى لَمْ يَخْلُ قَلْبِي مِنْ الْهَوَى
أَمِنْ مَدْرِكٍ سَرَّ الْغَرَامَ وَكُنْهَهُ
أَذَلِكَ دَاءً قَاتِلٌ وَمُبْرِحٌ
أَقْيِسُ أَجْبُنِي هَلْ بِقَلْبِكَ ذَرَّةٌ
أَيَّا مَنْ عَلَى قَلْبِي جَنَى بَدَلَالِهِ
دَلَالًا فَإِنَّ الْقَلْبَ أَضْحَى بِنَظَرَةٍ
تَرَى عِنْدَكُمْ مَا عِنْدَنَا الْوَجْدَ وَالْهَوَى
هُوَ الْحَبُّ دَاءٌ قَدْ وَرَثْنَاهُ كُلُّنَا

فَأَلْتَمَسُ السَّلْوَى وَلَا أَجِدُ السَّلْوَى
وَأَنْزَلْتَ فِي ثَغْرِ لَهُ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى^{١٠}
مَنْ الصَّبْرُ إِنْ الصَّبْرُ أَثْقَلَ مِنْ رِضْوَى
رَقِيبًا فَيَالِلَهُ مِنْ هَذِهِ الْبَلْوَى
وَمَا ذَلِكَ الْبُرْكَانُ مِنْ قَطْرَةٍ يُرْوَى
وَلَكِنَّ قَلْبِي لَيْسَ يَلْقَى لَهُ مَأْوَى
يُطَارِدُهُ الصَّيَادُ فِي ذَلِكَ الْمَثْوَى
فَمَا حِيلَتِي وَالذَّهْرُ بَيْنِي وَمَنْ أَهْوَى
فِي شَرْحٍ لِلْعُشَّاقِ مَعْنَاهُ وَالْفَحْوَى
تُصَابُ بِهِ الْأَلْبَابُ عَنْ طُرُقِ الْعَدْوَى
مَنْ الْحَبِّ إِنْ الْقَلْبُ فِي نَارِهِ يُشْوَى
فَدَيْتُكَ جُدْ لِي مَا عَلَى الْحَبِّ مِنْ دَعْوَى
أَسِيرًا مَعَ الْأَلْحَازِ يُنْشَرُ أَوْ يُطْوَى
وَهَلْ ذُقْتُمْ مِثْلِي أَنَا الْمَرُّ وَالْحَلْوَى
مَنْ الْبَدَأَ فِي الْفَرْدُوسِ عَنْ أَمْنًا حَوَا

ما هذا الصوت الرَّخِيمُ صَوْتُ شَبَابَةٍ، مَا أَعَذَبَ هَذَا الصَّوْتُ!

^{١٠} الْمَنِّ وَالسَّلْوَى: الْمَنُّ كُلُّ مَا يُنْعَمُ بِهِ، وَقَطِيرَاتُ مَائِيَّةٍ تَتَعَقَّدُ عَلَى بَعْضِ الْأَشْجَارِ عَسَلًا وَتَجَفُّ جَفَافَ الصَّمْغِ. وَالسَّلْوَى: الْعَسَلُ. وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى الْمَنِّ وَالسَّلْوَى اللَّذَيْنِ أَنْزَلَهُمَا اللَّهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْبَرِيَّةِ بِأَعْجُوبَةٍ مِنْهُ لِيَقْتَاتُوا بِهِمَا وَلَا يَمُوتُوا جُوعًا.

المشهد الثامن

(ليلي - الرعاة - خالد)

(أول يُعْنِي على شَبَابَتِهِ وهو داخل.)

ثانٍ (يدخل من الشمال بيده عصا غليظة يسمع مواء القطيع من الخارج فيقول):
طق طق طق. (يَضْرِبُ حَجَرًا إلى الجهة اليمنى ويقول) قُفَّ قُفَّ قُفَّ، الطقس جميل والقطيع
قد استمرأ المرعى.

ثالث: دُعْنَا من القطيع فهذه الفسحة مُنَاسِبَةٌ لِلرَّقْصِ والدَّبَكِ.

ثاني: جَرِّ جَرِّ جَرِّ تَسْ تَسْ تَسْ.

ثالث: دُعْنَا من مُخَاطَبَةِ القطيع قَلْتُ لك.

ثاني: هُوَ هُوَ هُوَ لَعْ لَعْ لَعْ.

أول (يقطع العزف ثم يقول): ما بَالُكُمْ لَا تَرْقُصُونَ؟

ليلي: هَنِيئًا لَكُمْ أَيُّهَا الرُّعَاةُ مَا أَطْيَبَ عَيْشَكُمْ!

ثاني: اعزف على لَحْنِ المواليا!

أول: يعزف على شَبَابَتِهِ.

الاثنان (ينشدان):

هيهات يا بو الزلوف عيني يا موالياً	بيني وبينك جبل وايش وصلك ليا
عالبير نشالي عالبير نشالي	مزنره بالكمر فوق الكمر شالي
يا الله يَغِيب القمر تاسلّمك حالي	وتكون ليلة عتم والسرّج مطفيًا

ليلي:

هيهات يا بو الزلوف عيني يا موالياً لا تكسروا خاطري بتتندّموا عليًا

(الرعاة عندما تبتدئ ليلي يُشِيرُونَ إلى بعضهم بالسكوت.)

ثانٍ (همساً): أهذه ليلي؟

ثالث: هي بعينها. اعزف يا غانم اعزف.

(أول يعزف على شبَّابته كالأول).

ليلي:

وتقول صابُوني وتقول صابُوني مرُّوا عليَّ العدا بالعين صابُوني
لو قطعُوني شَقَّفُ ألواح صابُوني ما بحيد عن عشرتك يا نور عينيًّا

(تبكي وتُنشِف دمعها بمنديلها).

ثالث: ما بالها تبكي؟

ثان: هي عاشقة. أما عشقت أم عامر في زمانك؟

ثالث: أم عامر؟ على رأسي.

أول: فلنرقص. (يُهيئ شبَّابته فيدخل خالد) من هذا؟

خالد (يدخل ومعه خادم): سيدتي، إنَّ أُمَّكَ تدعوك إليها فاذهبي في الحال.

ليلي: وداعاً أيها الرُّعاة، وإنَّني أحسُّدكم؛ لأنكم ستظلُّون جيراناً للحبيب قيس. آه ما أمرٌ جفاك يا قيس! (تخرج باكياً).

(خالد يبدأ بحلِّ حبال الخيمة ويُعاونهُ رفيقه ثم يخرجان بها).

أول: أعرفتَ إلى أين يذهب المهدي.

ثان: إلى جبل توباذ.^{١١}

ثالث: فلنرقص ونغنِّ فللمهدي ويلي من يسأل عنهما.

أول: ومن تعني؟

^{١١} تَوْبَاز: وبعضهم يلفظها تَوْبَاد، جبل بنَجْد.

ثالث: عَنِيتُ قَيْسَ الْمَلُوحِ. اعْزِفْ لِنَدْبِكَ.

ثاني: مَسْكِينَانِ هَذَا الْعَاشِقَانِ.

رابع: السَّلامُ عَلَيْكُمْ.

ثاني: هَاتِي يَدَكَ، اعْزِفْ يَا غَانِمَ.

أول: يَعْزِفُ لِحَنَ رَقِصٍ يُعْرَفُ عِنْدَ الْعَرَبِ بِالدَّبَّكَةِ، وَالثَّلَاثَةُ يُشَبِّكُونَ أَذْرُعَهُمْ وَيَرْقُصُونَ سَوِيَّةً وَيَغْنُونُ مَوْقِعِينَ نَشِيدَهُمْ عَلَى الرَّقْصِ وَالزَّمْرِ (وهذا الرقص وذاك الغناء يعرفهما العامة ومن شاء تمثيل الرواية فليسأل عنهما).

المشهد التاسع

(الرعاة - قيس - عامل الخليفة)

(قيس يدخل فينقطع الغناء والرقص.)

رابع: اسْمَعُوا مَا يَقُولُ قَيْسُ.

قيس:

وساروا بليلى والكواكب طُلُعُ
فيا للعدا من صَبْوَةٍ كَيْفَ أَصْنَعُ
وما الناس إِلَّا آلفٌ وَمَوَدَّعُ
فإن فؤادي عندك الدَّهْرُ أَجْمَعُ
لَهُ كَبْدٌ حَرَّى عَلَيْكَ تَقَطَّعُ
وكلُّ غريب الدار بالشَّوْقِ مُولِعُ
وكنْتُ لريب الدَّهْرِ لَا أَتَضَعُضِعُ
ينال المُنَى من كان باللَّحْظِ يَقْنَعُ
أخو حَبَلٍ أَوْصَالُهُ تَتَقَطَّعُ

ألا يا ظِبَاءَ الْحَيِّ أَيْنَ تَرَحَّلُوا
فأمرَضَ قَلْبِي حُبُّهَا وَطَلَابُهَا
أَتَبَعَ لَيْلَى حَيْثُ رَاحَتْ وَخِيَمَتْ
فإن يَكُ جُثْمَانِي بِأَرْضٍ بَعِيدَةٍ
ألا تَتَّقِينَ اللَّهَ فِي قَتْلِ عَاشِقٍ
غريبٌ مَشْوُوقٌ مُولِعٌ بِدِيَارِكُمْ
فأصبحتُ مِمَّا أَوْقَعَ الدَّهْرُ مُوجِعًا
قنعتُ بِلَحْظٍ مِنْكَ لَيْلَى وَإِنَّمَا
أَبَيْتُ بَرْوَحَاءَ الطَّرِيقِ كَأَنَّنِي

أول: طيب الله الأنفاس يا قيس.

ثالث (إلى الثاني): ماذا يقول؟ لم أفهم شعره، اشرح لي.

ثان: هل أنا أستاذ مدرسة! ما أبلدك!

قيس: آه! لم يبقَ غير الأطلال الدارسة؛ فلنسأل الرعاة عن المهدي. (إلى الرعاة)
أتعرفون أين ذهب المهدي؟

أول: إلى جبل تَوْبَاز. (إلى رفاقه) هلمُّوا بنا نخرُج فقد ذهب الزمان (يخرجون).

قيس:

أَفَقُّ عَنْ طِلَابِ الْغَيْدِ إِنْ كُنْتَ تَعْقِلُ	أَلَا أَيُّهَا الْقَلْبُ اللَّجُوجُ الْمُعَذَّلُ
تَمَادِيكَ فِي لَيْلِي ضَلَالٌ مُضِلُّ	أَفَقُّ قَدْ أَفَاقَ الْعَاشِقُونَ وَإِنَّمَا
فَصَبْرُكَ فِيمَا لَا يُدَانِيكَ أَجْمَلُ	تَعَزَّ بِصَبْرِ وَاسْتَعَنْ بِجَلَالِهِ
وَأَنْتَ بَلِيلِي مُسْتَهَامٌ مُوَكَّلُ	سَلَا كُلُّ ذِي وَدٍّ عَلِمَتْ مَكَانَهُ

ولكن أين الصبر للعاشق المتيمِّم؟ وكيف يسلو عاشق مُغرم؟!

المشهد العاشر

(قيس - جواد)

جواد: سلام أيُّها الشاب.

قيس: وألف تحية أيُّها الكريم.

جواد: أنت قيس العامري؟

قيس: نعم.

جواد: أنذرك أنَّ مولاي الخليفة قد أصدر أمرًا بهذر دمك إذا عُدْتَ إلى الاجتماع بليلى

ابنة المهدي؛ فكن على حذر، ولا تُعرِّض نفسك للخطر.

قيس: ما هذا الحُكم الجائر؟ ألي هذا الحدُّ رخص دمي؟

جواد: هذا لا يعنيني وأنا بريء من دمك، فأستودِعُك الله (يخرج).
قيس: مع السلامة، قاتَل الله الظالمين، وما أَمَرَ عَيشَ العاشقين!

لئن حُجِبَتْ ليلَى وألَى أميرها	عليَّ يمينًا جاهدًا لا أُنورها
على غير شيءٍ غير أنِّي أُحِبُّها	وأنَّ فؤادي عند ليلَى سَميرها
ألا فاقْتُلُوني إنَّ مَوتِي طيِّبٌ	إذا كان في موت الحبيب سُرورها

الفصل الثاني

هيئة الفصل الأول عيناها

المنظر الأول

المشهد الأول

(ليلى وحدها)

رأفةً في فؤاد ليلى المعنى	ففؤادي المضىنى أحبّ فجناً
من زمان ويل الغرام أقاسي	وأراني ما نلتُ ما أتمنى
إن شكوتُ الغرامَ قال المُحبُّ	ن إن شكوتِ الهوى فما أنتِ منّا
كاد قلبي يذوب وَجداً وشوقاً	وزماني عليّ بالوصلِ ضناً
كنتُ أرجو اللقاء خابتُ ظُنوني	كم مُحبٌّ يا ناس قد خاب ظناً
كلُّ أهلي عواذلٌ ويح قلبي	ليتهم يعرفون ما القلب كناً
أيُّها اللاثم المُعنفُ دُعني	فعذابي كالمهرجان وأهنا
ما أُحِيلُ تذكّار عهدِ لقانا	يوم كُنّا ولا تسلّ كيف كُنّا
ليتنا نلتقي وجمعنا الدهـ	ر ونحيا وبالهوى نتغنّى

المشهد الثاني

(ليلي - زينب)

زينب (تدخل): ما هذه التنهّدات يا بنتاه، لقد تركتِنا على جمْر الأحزان نتقلّب وأنتِ بأحزاننا لا تشْعُرِينَ. أبوكِ كاد يموت من فرطِ الأسى وأنتِ بغرامكِ لاهية!

بالله يا ناس ما أقوى مُصيبَتنا الناس نائمة إذ نحن في سهرِ
وصحّ ما قالتِ الأمثالُ من قَدَمِ قلبي على ابني وقلبي ابني على الحَجَرِ

ليلي:

أُمّاه إن مُصابي ليس تحصرهُ الـ أقلام حتى بلاني الدَّهر بالضَّجَرِ
قد صرتُ ما بين عشّاق الورى مثلاً أهوى ولسْتُ أفوز الدَّهر بالوَطَرِ
قد رُقّ لي الحَجَرُ القاسي فوا أَسْفَى لكنّ قلبكم أقسى من الحَجَرِ

زينب: يا بُنَيَّة، بحق أوجاعي ورُكوعي فوق سريركِ، بحق إيتعابي في سبيل تربيتكِ أن تنبِذي غرام هذا الشابِّ ولكِ غنى عنه بواحدٍ من طُلابكِ الذين بينهم الأغنياء والأُمراء وهم كثيرون.

ليلي: لا تُزعِجيني يا أُمّاه؛ فلا أمير يُرضيني ولا غنيّ عن قيس يُغْنيني. أنا أهواه ولا أهوى سواه، وحَسْبِي أَنَّهُ مجنون بِحُبِّي حتى لا أَميل إلى غيره. وأي سعادةٍ للفتاة إذا اقترنتُ بمن ليس تهواه؟

زينب: أسأل الله أن يَهْدِكَ يا بنية (تخرج).

ليلي: وأسأله أن يُرَقِّق قلبكِ عليّ يا أُمي.

المشهد الثالث

(ليلي - قيس)

ليلي: ليتَّك سامع يا قيس تعنيف الأم وتهديد الوالد.

الفصل الثاني

قيس (يدخل): أنا سامع كل شيء يا حبيبتي (يركع).
ليلي: ما أحلى لقاك يا حبيبي، انهض يا مُهَجَّتِي.
قيس:

قالوا جُنُنتَ بمن تهوى فقلتُ لهم
الحُبُّ ليس يُفِيقُ الدَّهْرَ صاحبه
نعم جننتُ فهاتوا من جُنُنتُ به
الحُبُّ أعظمُ ممَّا بالمجانين
وإنما يُصرعُ المجنون في الحين
إن كان يَشْفِي جنوني لا تلوموني
ليلي: آه! ما أعذبَ لقاءَ يا مُهَجَّتِي!

فكم قد أردتُ الصبرَ عنك فعاقني
وينفي جفاك النومَ مع كلِّ لَذَّةٍ
هُيامٌ بقلبي من هواك قديمٌ
ويُقلِّقني ذكراك وهو عظيمٌ

قيس:

أحنُّ إلى أرضِ الحجاز وحاجتي
وما نظري من نحو نجدٍ بِنافعٍ
أفي كلِّ يومٍ نظرةٌ ثم عَبرةٌ
فما كلُّ ما تستنزلُ العينَ ماؤها
متى يَستريحُ القلبُ إمَّا مجاورٌ
خيامٌ بنجدٍ دونها الطرف يقصُرُ
فؤادي ولكني على ذاك أنظرُ
لَعَيْنِكَ يجري ماؤها ويحدرُ
ولكنها نفسٌ تذوب وتقطرُ
حزينٌ وإما نازحٌ مُتَذَكِّرُ؟

ليلي: لقد فطرتَ قلبي بأشعارك فأنا بغيرك لا أَرْضى ولو صارت السَّمَاءُ أرضًا.

وكم قائلٌ لي اسلُ عنه بغيره
فقلتُ وعيني تستهلُّ دُموعها
لئن كان لي قلبٌ يَهِيمُ بذكره
فيا قيسُ جُدْ لي باللقاءِ فإنني
وألقي من الوجد المبرِّحِ سورةً
وإني لأستحييك حتى كأَنَّني
وذلك من قول الوُشاةِ عجيبُ
وقلبي بأكنافِ الحبيبِ يذوبُ
وقلبي بآخرِ إنها لقلوبُ
بحبك رهن والفؤاد كئيبُ
لها بين جلدي والعظام دبيبُ
عليَّ بظهر الغيب منك رقيبُ

قيس: أه من الرُّقَباء والعُدَّال، وويلي من الوُشاة اللُّؤام فقد طالما كدَّروا صفاء
أصحاب الغرام. أما أنا:

فلو أن ما بي بالحصى فلق الحصى	وبالريح لم يُسمَع لهنَّ هبوبٌ
ولو أن ما بي بالجبال لهدمت	وكادت جلاميد الصُّخور تذوب
تُذَكِّرني ليلى على بُعد دارها	وليلى قَتولٌ للرَّجال خلوبٌ
فويلي من العُدَّال لا يتركُوني	بِغَمِّي أما في العاذلين لبيبٌ
فإن عشتُ لا أبغي سواك وإن أمت	فما موت مثلي في هواك عجيبٌ
ولو أنني أستغفر الله كلَّما	ذَكَرْتُكَ لم تُكْتَبْ عليَّ ذنوب

ليلي: أسمع وقع أقدام! هو أبي مُقبل ... الويل لنا!

قيس: لا تخافي.

ليلي: قيس، اهرُب.

المشهد الرابع

(ليلي - قيس - مهدي - خالد - بكر - زينب)

(مهدي يدخل ومعه بكر وخالد.)

ليلي: أبي، بِحَقِّكَ اقْتُلْني ودَعْه (تتمسك به).

(قيس يُظهر علامات الارتباك وينظر ليجد مَنْفَذاً يفرُّ منه.)

مهدي: أمثل قيس يدخل خِباء الحرائر^١ والعذارى؟ رجالي، دُونكم هذا الوَعْد.

^١ الخِباء: كُلُّ ما تَحْتَبئُ وراءه المرأة عن أعين الناظرين إليها، وهو هنا الخيمة.

الحرائر: جَمع حرَّة، وهي الفتاة العربية السَّيِّدة.

العذارى: جَمع عذراء.

(بكر وخالد يهجمان على قيس فيفرُّ من أمامهما ويتبعانه إلى خارج الملعب.)

(مهدي يرفس ابنته ويجرّد سيفه هاجمًا على قيس.)

ليلي (تسقط مغشيًا عليها وتصرخ): قتلتنِي يا قاسي.

مهدي (ينشغل بليلي عن اللّحاق بقيس ويتقدّم إلى الباب ويُنادي): يا خالد، يا بكر، إلَيَّ إلَيَّ. (إلى الجمهور) آه من غرام هذه الابنة، ما أشدّه، ولولا الحنان الوالدي لقتلتها في الحال.

خالد: لبيك سيدي، لقد كدنا نُودي بحياته لو لم تأمرنا بالرجوع.

مهدي (إلى خالد): أعدّ لها فراشًا. (إلى بكر) احرق رُقعة^٢ لننشقها (ثم يأخذ قليلًا من الماء وينضّح به وجهها).

بكر (يتقدّم وينشقها رائحة الرُقعة): مسكينة يا ليلي!

زينب (تدخل): قتلتها يا كافر. آه ما أقساك!

مهدي: اخرسي يا فاجرة!

زينب: وا لهفي عليك يا ليلي!

مهدي: ساعديني لننقلها إلى فراشها (ينقلانها).

زينب (تجلس فوق رأسها باكية): ما أتعس حظك!

مهدي: خالد، عليّ بالطبيب.

(خالد يخرج بعجلة.)

ليلي (تهذي): حبيبي اهرب. أبي، رُحماك اقتلني. أبي، حبيبي، ليتني فداك! أمي!

أمي! (تتشجّع).

زينب: عُيون أمك أفريقي يا ليلي حبيبتي (تحركها).

ليلي (تستفيق): ما هذا أمي أنتِ هنا؟ ما أتعس حظي! صدري.

^٢ عادة درجت العامة على التوسّل بها مُساعدةً للمُعَمّى عليه كي يعود إليه وعُيه.

زينب: أتناَلَمين منه يا بُنية؟

ليلي: نعم. نعم.

مهدي: لا تَجَزَعي، سيأتي الطبيب.

زينب: لقد كُنَّا في غنى عنه لولا قسوتك أيُّها الجائر.

مهدي: احرسي!

ليلي: أبي رَحمة!

المشهد الخامس

(علقمة - مهدي - زينب - ليلي - خالد - بكر)

علقمة: عم صباحاً أيُّها الأمير.

مهدي: مرحباً بالطبيب.

علقمة: أليلى هي المريضة؟ سلامتك يا ربّة العذارى!

ليلي: آه صدري.

زينب (إلى الطبيب): بحقِّ صدرها يؤلِّمها.

علقمة (يقترب من ليلي ويجسُّ نبضها): لا تخافي يا بُنية ستُشفين بإذن الله (يُعْدُّ

دواءً من جُعبته).

مهدي: أَمِنْ خطرٍ عليها؟

علقمة: لا خطر الآن. (إلى زينب) اسقيها جرعةً والأمل بالشفاء الكبير.

زينب: اشربي يا بُنية، آه من هذه البلية!

ليلي (تجرع الدواء ثم يَضِيع رُشدها): قيس أين أنتَ حبيبي قد سبَّبتُ لك الشقاء.

قاس أنت يا أبي! هل أراك يا قيس؟

علقمة: هيؤا بنا نخرُج ونُدعُها وحدها.

زينب: لا، هذا لا يكون.

علقمة: بلى سيِّدتي فلا خَوْف عليها (يخرجون).

المشهد السادس

(ليلي - عسّاف)

ليلي (هذيان): هل أرى قيسًا. أبي رُحماك اقتلني ودعه يعيش. (تستفيق) أين هم؟
لقد تركوني وحدي يا للقساوة ولشقاء المحبين (تُغطّي رأسها بلحافٍ وتئن).
عسّاف (يدخل وبعد أن يسير خطوتين يقف قائلاً): أسمع أنيئًا. ما هذا؟ (ثم يتقدم).

ليلي (تسمع خطاه فترفع اللّحاف عن رأسها): من هذا؟ يا عابر الطريق رُحماك اقترِب مِنِّي.

يا أيها الراكب المُزجي ^٢ مطيئته	عرّج ليذهب عني بعض ما أجد
فما أرى الناس من وجدٍ تضمّنهم	إلا ووجدٍ بقيس فوق ما وجدوا
أهوى رضاهُ وإنّي في مودّته	حتى إلى آخر الأيام أجتهدُ

عسّاف: حيّاك الله يا حرّة العرب، هل من طلبٍ أقضيه لك؟

ليلي: إن كنتَ من أهل المروعة وكرم الأخلاق تفعل معي هذا الجميل؛ وهو أنك متى وصلتَ إلى تلك المعالم تستدلّ على بيت قيس بن الملوّح فمتى اجتمعتَ به أقره مِنّي السلام وقُلْ له: إنّ ابنة عمّك ليلي قد أضناها السقام من شدّة الوجد والغرام، وهي لا تلتذُّ بطعامٍ ولا تذوق أجفانها طيب المنام حتى صارت مثلاً بين النساء في سائر الأنحاء. بربك اقترِب وساعدني على النهوض.

^٢ زجّى الشيء: دفعه برفق، والمطيئة كلّ ما يُمتطى من ناقةٍ أو فرس، والمزجي مطيئته: الذي يسوق مطيئته برفقٍ يحثّها على السير.

^٤ قيس بن الملوّح: مجنون ليلي شاعر غزل من أهل نجد، هو قيس بن الملوّح العامري، أحبّ ليلي العامرية ورفض أهلها أن يزوّجوها له، فجُنّ بها حبًّا وهام في الفلوات يُنشدّها الأشعار.

عسّاف: أَمركِ سيدتي. (يُجلسها).
ليلى: قدّم لي تلك الدّواة وذلك القِرطاس.
عسّاف: على الرأس والعين.
ليلى: تَقْرأ وتكتُب.

وأنتَ الذي أَخْلَفْتَنِي ما وَعَدْتَنِي وأشمتُّ بي من كان فيك يلوُمُ
وأبرزْتَنِي للناس ثم تركتَنِي لهم غَرْضًا أرمى وأنتَ سليمُ
فلو أنّ قولاً يَكْلُمُ الجِسم ما بدا بجسمي من قول الوشاة كلوُمُ

ادفع له هذه الورقة عند وصولك إليه.
عسّاف: لَبَّيكِ يا بنتِ الكرام. (يخرج).
ليلى:

أه من لوعتي وفرط هُيامي فغرامي قد حَيَّرَ الأفكارا
فمتى تنقضي الحياةُ ويُرْخي فوق ليلي الموتُ الزوَامُ ستارا

المنظر الثاني

(في بريّة)

المشهد الأول

(قيس - الملوّح)

الْمَلَوّح: ما هذا الحبُّ وما هذا الجنون يا ولدي فتَبَّ عن الهوى فقد هتكتَ نفسك
وصرتَ مثلاً ما بين الورى، وأُحدوثةً عند من يسمع، وعبرةً لمن يرى؛ فارجعْ إلى صوابك.
قيس: دُعني أبي ولا تَلُمّني، بل لَمْ ذلك القدير الذي أوقد بقلبي شُعلة المحبّة. أنا
سأَموت بِحُبّها وعنّها لا أرجع فلا تطمَع بالمُحال.

الفصل الثاني

الملّوح: كلُّ ذلك لأجل ابنة عمِّك ليلى؟ فأنا أُشير عليك أن لا تعود تذكرها بشفةٍ ولا لسان.

قيس: أبي، كلّما حدّثتني بهذا الشأن ازددتُ شوقًا وغرامًا وهاجتُ بي الأشواق وغلبتُ عليَّ غُصّةُ الفراق.

الملّوح: إذا ليس في اليد حيلة!

قيس: بلى إذا شئت.

الملّوح: وما هي؟

قيس: هي أن تذهب إلى أبي ليلى وتخطبها لي فنصير حليّين عوض أن نكون عاشقين حليّين.

الملّوح (على حدة): ماذا أصنع؟ سأفعل ذلك قريبًا يا ولدي فطب نفسًا وقرّ عينًا (يخرج).

قيس: لقد ذهب بالسلامة، فهل ينجح يا ترى؟ ولكن سيّان عندي نجح أم لم ينجح فسأظلُّ أحبُّها وإن يكن.

أبي وابن عمّي وابن خالي وخاليا	لقد لأمّني في حبٍّ ليلي قرابتي
بنفسي ليلي من عدوّ ومالِيا	يقولون ليلي أهل بيتي عدوّ
بشيءٍ ولا أهلي يُريدونها ليا	أرى أهل ليلي لا يُريدون بيعها
إليها وما قد حلَّ بي ودّهانِيا	فليت نسيم الرّيح أدّى تحيّتي
وسادي لئلاّ النوم يُذهب ما بيا	خليليّ مدّا لي فراشي وارفعها
نتيجة ضوء الشمس منّي سلامِيا	وإن متُّ من داء الصبابة بلّغا

المشهد الثاني

(قيس - عسّاف)

عسّاف: سلام يا أخا العرب.

قيس: ألف تحية ومرحبًا.

عسّاف: منذ زمان وأنا أبحث عنك حتى اهتديتُ إليك.

قيس: وما تبغي؟

عسّاف: بيدي كتاب أدفعُهُ إليك.

قيس: ومِمَّن هذا الكتاب؟

عسّاف: من ليلى.

قيس: من ليلى؟

عسّاف: نعم، وهي مريضة دِنْفَةٌ^٥ وهذا كتابها.

(قيس يأخذ الكتاب ويقرؤه بإمعانٍ ثم يقول):

وَأَنْتِ الَّتِي أَغْضَبْتِ قَوْمِي فَكُلْهُمْ	بَعِيدَ الرِّضَى دَانِي الْقُطُوفِ كَاطِمٍ
وَأَنْتِ الَّتِي كَلَفْتَنِي دَلَجَ الثَّرَى	وَأُحْدِثْتَ قَرَحَ الْقَلْبِ فَهُوَ كَلِيمٌ ^٦
وَأَنْتِ الَّتِي قَطَعْتَ قَلْبِي صَبَابَةً	وَرَقَرَقْتَ دَمْعَ الْعَيْنِ وَهُوَ سَجُومٌ ^٧

عسّاف: مسكينة هي تلك الفتاة، فقد أصبحت أرقُّ من الخيال، وهي تنتظر لقاءك بفارغ الصبر.

قيس: أشْكرك يا أخي على جميلك.

عسّاف: أودَّعك وأدعو لك بالتوفيق (يخرج).

قيس: رافقتك السلامة. (يتمشَّى بعض خطوات ويقول):

شَكَوْتُ إِلَى سِرْبِ الْقَطَا إِذْ مَرَرَنْ بِي	فَقُلْتُ وَمِثْلِي بِالْبُكَاءِ جَدِيرُ
أَسِرْبَ الْقَطَا هَلْ مِنْ مُعِيرٍ جَنَاحُهُ	لَعَلِّي إِلَى مَنْ قَدْ هَوَيْتُ أَطِيرُ
وَكَلُّ قِطَاةٍ لَمْ تُعَرِّنِي جَنَاحَهَا	فَعَاشَتْ بَضْرًا وَالْجَنَاحُ كَسِيرُ
وَالْأَفْئِدَةُ هَذَا يُؤَدِّي رِسَالَتِي	فَأَشْكُرُهُ إِنْ الْمُحِبِّ شَكُورُ

^٥ دِنْفُ المريض، يدنفُ دنفًا: ثقل من المرض وأشرفَ على الموت، ودِنْفَةٌ مُشْرِفةٌ على الموت حَبًّا.

^٦ دَلَج: مشى ليلاً، ودَلَجَ الثرى: إذا واصل المشي ليلاً حتى مُنْبَلَجَ الفجر حيث يتجمّع الندى الثرى.

^٧ السجوم: صِفَةُ للعينِ المِدرارة، والدمع السجوم: الدمع الغزير.

طوت أم عمرو حين ولّت ركبها
وحالت جبال البُعد بيني وبينها
سلوا أم عمر هل يُنَوِّلُ عاشقُ
ألا قلّ ليلي هل تراها مُجيرتي
إذا جلسوا في مجلسٍ نذروا دمي
ودون دمي هزّ الرّماح كأنّها
وبان افتراقي والذين أزورُ
وهيهات مَقصوص الجناح يطيرُ
أخو سقمٍ أم هل يُفكُّ أسيّرُ
فإنّي لها في ما لديّ مُجيرُ
فكيف تراها دون ذاك تُجيرُ
توقّدُ جمرَ ثاقبٍ وسعيرُ

المشهد الثالث

(قيس - سعاد)

سعاد: أخي، ما هذا البُكاء والنحيب؟ فقد هزأ بك عابرو الطريق. أليس لهذا الداء
دواء؟!

قيس: لا يا أختي، إنني بهذا الداء سأموت ورحم الله المُحبّين.

سعاد: كن جلوداً يا أخي واصبر.

قيس: كيف الصّبر ويلي تُقاسي من العذاب أشكالاً وألواناً؟!

يقولون ليلي بالعراق مريضةٌ
سقى الله مرضى بالعراق فإنني
فإن تك ليلي بالعراق مريضةٌ
أهيم بأقطار البلاد وعرضها
سبّنتي شمسٌ يُخجلُ الشمس نورها
برى حبّها جسمي وقلبي ومهجتي
فلا تعدلوا بل إن هلكتُ ترحموا
وخطوا على قبري إذا متُ أسطراً
فما لك لا تَضنّي وأنت صديقُ
على كلّ مرضى بالعراق شفيقُ
فإنني في بحر الغرام غريقُ
وما لي إلى ليلي الغداة طريقُ
ويُكسِفُ نورَ البدر وهو شريقُ
فلم يبقَ إلّا أعظمُ وعروقُ
عليّ ففقدُ النفس ليس يعوقُ
قتيل لحاظٍ مات وهو عشيقُ

سعاد: فديتُك يا أخي، وناشدتُك الله أن تَسْلُو تلك الفتاة.
قيس: وهل تُشترى السُّلوى وتُباع يا مُهجتي؟ وكيف أسلو وأنا:

إذا هتفتُ وِرْقَاءَ في رَوْنِقِ الضُّحَى	على غُصْنِ بَانٍ أو غُصُونٍ من الرُّند ^٨
بكيتُ كما يبكي الوليد ولم أكنْ	جلودًا وأبديتُ الذي ما به أبدي
إذا وعدتُ زادَ الهوى لانتظارها	وإن بخلتُ بالوعد متُّ على الوعدِ
وقد زعموا أَنَّ المُحِبَّ إذا دنا	يميل وَأَنَّ البُعدَ يَشْفِي من الوجدِ
بكلِّ تدَاوِينَا ولم يَشْفِ ما بنا	على أن قُرب الدَّار خيرٌ من البُعدِ
على أن قرب الدار ليس بنافعٍ	إذا كان من تَهَوَّاهُ ليس بذِي عهدٍ

المشهد الرابع

(الملَّوح - قيس - سعاد)

(الملَّوح يدخل.)

قيس: مرحبًا بوالدي العزيز.
الملَّوح: وما العمل يا بُنَيَّ ونحن لم نُفْلِح؟ لقد قابلنا الرجل بوجهٍ كالحِ وجبينٍ مُقَطَّبٍ.

قيس: ذلك ما كنتُ أَتَوَقَّعُهُ.
الملَّوح: وقد دفعنا له مائة ناقةٍ بِرَاعِيهَا فلم يقبل، وقال لنا: هذا داء مُعْضِلٌ وأمرٌ مُشْكِلٌ. ما فعله أحدٌ غيري سابقًا فلا أدعُ العَرَبَ تقول عَنِّي إِنَّني قد زَوَّجْتُ عاشقًا.
قيس (يتأوهُ ويتنهدُ ويتنشدُ):

ألا أيُّها الشيخُ الذي ما بنا يرضى	شَقِيتَ ولا هُنَيْتَ في عَيْشِكَ الخَفْضَا
أما والذي أبلى بليلى بليتي	وأصفى بليلى من مَوَدَّتِي المحْضَا

^٨ الرند: شجرٌ من شجر البادية طيبُ الرائحة.

الفصل الثاني

كَأَنَّ فَوَادِي فِي مَخَالِبِ طَائِرٍ إِذَا ذُكِرْتُ لَيْلَى يَشْدُ بِهَا قَبْضًا
كَأَنَّ فِجَاجٍ^٩ الْأَرْضَ حَلْقَةً خَاتِمٍ عَلَيَّ فَمَا تَزْدَادُ طَوْلًا وَلَا عَرْضًا

الملَّوح: يَظْهَرُ أَنَّكَ عَنْ غَيْكِ لَا تَعُودِ.

قيس: لا.

الملَّوح: أَنَا قَدْ فَعَلْتُ الْوَاجِبَ، أَمَا أَنْتِ فَافْعَلِي مَا بَدَأَ لَكَ، هَلُمِّي بِنَا نَخْرُجْ يَا بَنِيَّةَ
(يَخْرُجَانِ).

المشهد الخامس

(قيس - عمر)

قيس:

تَكَادُ بِلَادُ اللَّهِ يَا أُمَ مَالِكٍ بِمَا رَحُبَتْ يَوْمًا عَلَيَّ تَضِيقُ
تَتَوَقَّ إِلَيْكَ النَّفْسُ ثُمَّ أَرُدُّهَا حَيَاءً وَمِثْلِي بِالْحَيَاءِ خَلِيقُ
وَلَوْ تَعْلَمِينَ الْغَيْبَ أَيقِنْتَ أَنَّي حَبِيبٌ وَأَنِّي لِلْحَبِيبِ مَشُوقُ
أُرُومُ سُلُوِّ النَّفْسِ عَنْكِ وَمَا لَهَا إِلَى أَحَدٍ إِلَّا إِلَيْكَ طَرِيقُ

عمر: حَيَّاكَ اللَّهُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ.

قيس: وَمَا وَرَاءَكَ يَا غَلَامٌ؟

عمر: كِتَابٌ مِنْ سَيِّدَتِي لَيْلَى.

قيس: أَلَفَ مَرْحَبًا بِكَ، هَاتِ الْكِتَابَ (يَأْخُذْهُ وَيَقْرُؤُهُ جَهْرًا).

أَيُّهَا الْحَبِيبُ وَالسَّيِّدُ الْأَدِيبُ، مُهْجَةُ الْفَوَادِ وَزِينَةُ الْأَمْجَادِ، مِنْ فَاقٍ سَائِرِ الْأَنَامِ
بِالْكَمَالِ وَحُسْنِ الْخِصَالِ وَحِفْظِ الْعُهُودِ وَالزَّمَامِ وَالْمَحَبَّةِ الصَّالِحَةِ الْخَالِيَةِ مِنْ
الْآثَامِ، قَدْ بَلَّغَنِي مَا أَنْتَ فِيهِ مِنَ الشَّوْقِ وَالْغَرَامِ وَالْوَجْدِ وَالْهَيْامِ وَمُكَابَدَةِ
السَّهْرِ وَهَجْرَانِ الطَّعَامِ وَاحْتِمَالِ الْلُّوَامِ حَتَّى اعْتَرَاكَ الْهُزَالُ وَصَرْتَ نَاحِلًا

^٩ الفج: الطريق الواضح بين جبَلَيْنِ، أَوْسَعُ مِنَ الشَّعْبِ، وَالْجَمْعُ فِجَاجٌ.

كالخيال. وحيث الحالة هذه فاحضُر في نصف هذا الليل إلى وادي الأراك^{١٠} وأنا
أُوافيك إلى هناك. ولو خاطرتُ بنفسِي في هواك فلا يُساوي لذّة رؤياك.

يا مُنيتي أنت مقصودي ومطلوبي وأنت رغماً عن الأعداء محبوبي
إن تحتجب عن عُيون الصبِّ يا أُملي ما أنت عن قلبي المُضنى بمحجوب

قيس:

ليلي لقد أضنى الفؤاد جفاك وأذاب أحشاء المُحبِّ نواك
أنت الحبيبة لا سواك من الوري فوَحَقَّ حُسنك لا أحبُّ سواك
أحيا على أمل اللقاء هُنيهةً ولعلَّ في وادي الأراك أراك

^{١٠} وادي الأراك: وإد قُرب مكّة المُكرّمة. وقيل: هو من مَواقِف عرفة بعضُه من جهة الشام وبعضُه من جهة اليمن. والأراك في الأصل شَجَر يُستظلُّ به، وترعاه الإبل.

الفصل الثالث

المنظر الأول

وادي الأراك

المشهد الأول

(قيس وحده)

وزدتَ على ما لم يكن بلغَ الهجرُ	أيا هجرَ ليلي قد بلغتَ بي المدى
فلمَّا انقضى ما بيننا سكنَ الدهرُ	عجبتُ لسعي الدهر بيني وبينها
ويا سلوةَ الأحزان موعِدُك الحشرُ	فيا حُبَّها زِدني جوًى كلَّ ليلةٍ
وتنبُّ في أطرافها الورقُ الخضرُ	تكادُ يدي تندي إذا ما لمستُها
ويا حبَّذا الأموات إن ضمَّك القبرُ	فيا حبَّذا الأحياء ما دمتَ بينها
أما ت وأحيا والذي أمره الأمرُ	أما والذي أبكى وأضحك والذي
وزُرتك حتى قيل ليس له صبرُ	هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى
كما انتفض العصفورُ بللَّ القطرُ	وإني لتَعروني لذكراك هزَّة
فأبْهتَ لا عُرْفُ لديَّ ولا نكرُ	فما هو إلَّا أن أراك فُجاءةً

ولكن قد تأخّرت عن القدوم، فهل في الأمر حيلة يا ترى؟ (يُخرج كتاب ليلي من جيبه يتأمل به ويقول) الخطُّ خطُّها ولا حيلة في الأمر. ها قد أقبلت!

المشهد الثاني

(ليلي - قيس)

ليلي (تدخل): سلامٌ أيُّها الحبيب (يتصافحان بالأيدي) فينشد قيس:

أنيري مكان البدر إن أفلَ البدرُ	وقومي مقام الشمس ما استأخَرَ الفجر
ففيكِ من الشمس المُنيرة ضوءُها	وليس لها منكِ التبسُّم والثغرُ
بلى لكِ نور الشمس والبدر كله	وما حملتُ عينيكِ شمس ولا بدرُ
لكِ نظرة اللاّء والبرق طالعُ	وليس لها منكِ الترائب ^١ والنَّحر ^٢
ومن أين للشمس المُنيرة بالضحي	بمكحولة العَيْنَيْن في طرفها فتر ^٣

ليلي: آه كم أنت جميل يا حبيبي!

قيس: قُرْبُكَ أجمل يا حبيبتِي، ولكن ...

ليلي: لا ثَقُل ولا تعْتَب يا حبيبي.

فلو أن ما ألقى وما بي من الهوى	بأركان رضوى دُكَّ وهو مَشِيدُ
تقطّع من وجِدٍ وذاب حديدُه	وأَمسى تراهُ العين وهو عميدُ
ثلاثون يومًا كلَّ يومٍ وليلةٍ	أَموت وأحيا إنَّ ذا لشديد

^١ الترائب: جمع تريبة، وهي أعلى الصّدر، أو موضع القِلادة.

^٢ النَّحر: أعلى الصدر، مُرتكز العُنُق على الجذع.

^٣ فتر الطرف: سكن واطمأن. طُرْف فاتر: ليس حاد البصر. وفتور الطرف صفة مُستحبّة في أعين الفَتَيَات.

قيس: أنا لا أجهل أنَّ سُلطان الهوى قهَّارٌ عنيد، وقيدهُ أشدُّ من سلاسل الحديد.

فوالله لا أدري على ما هجرتني	وأَيُّ أمورٍ فيكَ يا ليلَ أركبُ
أَقطعُ حبلَ الوصلِ فالموتُ دونهُ	وأشربُ كأسًا علقمًا ليس يُشربُ
فلو كان لي قلبانِ عشتُ بواحدٍ	وأبقيتُ قلبًا في هواكِ يُعذبُ
رمتني يدُ الأقدارِ عن قوسِ محنةٍ	فلا العيشُ يصفو لي ولا الموتُ يقربُ
كعصفورةٍ في كفِّ طفلٍ يهينها	تُقاسي عذابَ الموتِ والطفلُ يلعبُ
فلا الطفلُ ذو عقلٍ يرقُّ لحالها	ولا الطيرُ مَطْلوقُ الجناحِ فيذهبُ

ليلي: لو كنتَ تعرفُ يا مُهجةُ الفؤادِ ما أقاسي لأجلك من العذابِ لعذرتني؛ فعندما رفضَ والدي طلبَ أبيكَ كأنَّ الصَّاعقةَ انقضَّت عليَّ. أحبكُ يا قيس، ولكنَّ التقاليدَ تقفُ بوجهي، فماذا أفعل؟ أنا لا أقتِرُ بسواكِ وإن أرغمتُ على ذلك.

قيس:

أحنَّ إلى لثَمِ الثغورِ الضَّواجِكِ	وأهوى عِناقَ البِيضِ لونِ السَّنابِكِ
وأصبُّو إلى ذاتِ الصُّبا من صبابتي	إذا لم يكن لي في الهوى من مُشاركِ
صرمتِ جبالَ الوصلِ يا بنتَ مالكِ	فيا ليتَ شعري أيُّ وِشٍ وشى لكِ
ملكِ فؤادي وامتحنِ صبابتي	ومن دمِ قلبي قد خضبتِ بَنانِكِ
فلو كنتُ أدري أنَّ قلبكِ سالمٌ	من الحبِّ ما أحرقتُ قلبي بَنارِكِ
ولو كنتُ أدري أينَ أنتِ مقيمةٌ	من الأرضِ لم يبعدَ عليَّ مزارِكِ
على أنَّه لو كانَ عندكِ بعضُ ما	تحملُ قلبي من هواكِ لذابكِ
لنا تحتَ ظلِّ الأيكِ من جانبِ الحمى	مواقِفَ تشكو شَرَحَ حالي وحالكِ
يُسمِّونني في الحبِّ مجنونَ عامرٍ	ولولا هواكِ كنتُ سيدَ مالِكِ
حكمتِ فلا تطعنين في دولة الهوى	وإلا فرَّقني واصنعي ما بدا لكِ

٤ الأيك: الشَّجَرُ العالي المُلْتَف.

ليلي: حبيبي، لا تجرح فؤادي بهذه الأقوال، ولا تزد عذابي عذاباً، فيكفيني ما ألقىه من أهلي. أنا أهواك ولكن دون قربك أهوال؛ فالوداع الآن فإنني أخاف من العيون. قيس: وداعاً يا حبيبة القلب (تذهب).

المشهد الثالث

(قيس وحده)

بلى والليالي العشر ^٥ والشَّفع ^٦ والوتر ^٧ وعظَّم أيام الذبيحة والنَّحر على ألف شهر فضلت ليلة القدر ^٨ كما يتداوى شارب الخمر بالخمير يداوى به الموتى لقاموا من القبر فشتان ما بين الكواكب والبدر فوالله ما بي من جنون ولا سحر أبي، وأبيها، أن يطاوعني شعري ودامت لنا الدنيا إلى ملتقى الحشر وبين حياتي خالداً أمد الدهر على غفلة الواشين ثم اقصفوا عُمرِي	ألا زعمت ليلي بأن لا أحبُّها بلى والذي نادى من الطُّور عبده لقد فضلت ليلي على الناس مثلاً تداويت من ليلي بليلى من الهوى مفلَّجة الأسنان لو أن ريقها هي البدر حسناً والنساء كواكب يقولون مجنون يهيم بذكرها إذا ما نظمت الشعر في غير ذكرها فلا أنعمت بعدي ولا عشت بعدها مضى لي زمان لو أخير بينه لقلت ذروني ساعة قرب مُهجتي
--	---

^٥ الليالي العشر: الليالي العشر الأخيرة من شهر رمضان.

^٦ الشَّفع: الرَّوج من العدد، وهنا يوم الأضحى.

^٧ الوتر: الفرد من العدد. وهنا يوم عرفة.

^٨ ليلة القدر: ليلة مباركة أنزل فيها القرآن، وهي إحدى الليالي الوتر من العشر الأخيرة في رمضان. ويُقال: إنها السابعة.

المنظر الثاني

(خيمة من الشعر)

المشهد الأول

(مهدي - زينب - سعد - بكر)

مهدي: لقد تفاقم الطلاب حول بابنا وفاقوا الجراد عدًّا ويلي لم ترتضِ بواحدٍ منهم! لقد جُنْتُ بحبِّ ذلك المَجنون وأنا لا أُسَلِّم بذلك ولو هُدِرت آخر نقطةٍ من دمي، جاء والده خاطبًا ابنتي فرفضتُ وهيئات أن أَرْضَى.

زينب: إذا يحلُّ لنا أن نقتل هذه الابنة ونطرحها بين براثن الموت، فهذا لعمري مُنتهى الظلم!

مهدي: إذا كنتِ تُشفِّقين عليها فساعِديني على إقناعها وأنا مُستعدُّ أن أُرَفِّها إلى أمير عظيم جليل القدر رفيع المقام.

زينب: أظنُّها لا ترضى، ولو كان الخليفة ابن مروان.

مهدي: ألا ترضى بالأمير سعد بن منيف؟!

زينب: إنَّها لا ترضى سعدًا بغير وجهِ قيس.

(سعد يدخل.)

مهدي (إلى زينب): هذا هو العريس. أهلاً بالأمير سعد.

سعد: حيَّاك الله أيُّها الأمير.

مهدي: يا بكرُ هات القهوة. إنَّني أترقَّب قدومك لأعطيك الجواب النهائي؛ فقد قرَّرتُ أن أُرَفِّ إليك ابنتي ليلى، وذلك في القريب العاجل، فبعد قليلٍ أخاطبها بالأمر وأرسل وراءك أحد أعواني وسيأتيني عندي رضىت أم أبَت.

(بكر يقدِّم القهوة.)

سعد: أشكرك أيُّها الأمير فقد أوليتني شرفاً عظيماً.
مهدي: فاذهبِ إذاً غير مأمور وجَهِّزِ معدَّات العرس؛ فبعد هُنيهة يُكتب، وقد قُضي الأمر، وعن قريب تدخل ليلي.
سعد: أوَدِّعكم إذاً (يذهب).
مهدي وزينب: مع السلامة.
زينب: إذاً على هذا عَوَّلْتُ؟!
مهدي: نعم، فإذا رَضِيتُ جَبَرْتُ خاطري، وإن رفضتُ قطعْتُ حبلَ وريدها^٩ بحدِّ هذا المهنَّد.

المشهد الثاني

(زينب - مهدي - ليلي)

ليلى (تدخل): عِمَّا صباحاً يا والديّ.
مهدي: مرحباً بالابنة العزيزة.
زينب: اجلسي بقُرْبِي يا عزيزتي.
مهدي: لقد انتَشَر صَيْتُكَ يا بُنية في بلاد العرب، وخطبك منِّي السَّادة أصحاب المناصب والرُّتب، وأنا لا أُصْغي لخطبة خاطبٍ ولا لطلبِ طالبٍ حتى خطبك الأميرُ الشريفُ سعد بن مَنيف، وهو كثير المال محمود الخِصال، تحلَّى بالأدب والجمال، واتَّصف بالهَمَّة والكمال؛ ولهذا زَوَّجْتُكَ به دون الرجال؛ إذ لا بدَّ للمرأة من زَوْج يَلُمُّها ويُفَرِّج همَّها.
ليلى: أباي بِحَقِّكَ ارحمني.
مهدي: لا رحمةَ ولا شَفقة، فإذا فعلتِ كما أقول كنتِ العزيزة عندي وإلَّا فنَّقِي وتأكَّدي أنكِ مائتة لا مَحالة.

^٩ الوريد: عرق في العُنق ويُقال له: حبل الوريد، وهما في العُنق وريدان يَنِيضان أبداً بالحياة. وقطعتُ حبلَ وريدها: ذبحتُها.

ليلي: هذا أمرٌ لا يتمُّ أبداً، ولو متُّ قهراً وكمداً.
 مهدي: اخزسي يا شقيّة، فلقد تَمَادَيْتِ فِي قَحَتِكَ (يلطمها على خدّها).
 زينب: مهلاً، فما هذه الأعمال التي تحطُّ من مقامنا بين العرب؟!
 مهدي: أنا ذاهب وسأبعث وراء الأمير فإما العرس وإما الرّمس (يذهب).
 ليلي: آه ما أحلى الرّمس! كم في القبر من أنس!
 زينب: ما هذه الحماسة يا بُنيّة؟! لأجل رجلٍ تُضحّين حياتك، فلو خيّروني بين كل الرجال وحياتي لقلتُ لهم حياتي.
 ليلي: لا يا أُمّي، فلو كنتِ تَشْعُرِينَ بِعَذَابِي وآلامي المُبرّحة لأزحيتِ عن قلبي هذا الحمل الثقيل. آه يا قيس ليتك ترى!
 زينب (تبكي): ماذا أصنع؟! ألهمني يا ربّاه. (إلى ليلي) سأذهب يا بُنيّة لعلّني أُرِدُّ والدك عن هذا العزم.
 ليلي: أجرك عظيم يا أمّاه؛ لأنك تُخلّصين اثنتين من الموت. بحقك يا أمّاه ابذلي جهدك وخلصينا.
 زينب: لا حاجة إلى تشديد عزمي.

المشهد الثالث

(ليلي - بكر)

ليلي:

فحذارٍ من قتلِ المُحبِّ حذارٍ	حُكِّمَ المَحَبَّةَ فِي البريَّةِ جَارٍ
كم للهوى العُذريُّ من أَعذارٍ	يا ناسِ رفقاً فالحيَاةُ مَحَبَّةٌ
تاللهِ ذا من أغربِ الأسرارِ	للهِ ما أحلى الهوى وأمرُّه
لي راحمٌ في هذه الأمصارِ	يا قيسِ حُبُّكَ قد برى جسدي وما
بسلاسلِ التقليدِ والإجبارِ	فالوالدانِ يُقيِّدانِ عَواطِفي
قد حلَّلْتُه مَشِيئَةُ الجَبَّارِ	فكأنَّ قلبي مِلْكُهُم وَدَمِي لَهُم
ن ضحية لجماعة الأغرارِ	جاروا عليَّ وشاةً ربِّي أن أكو

يا نفس صبرًا واحملي جَزَعًا ولا تتذمَّري فكذاك شاءَ الباري
قد أحرَقوا قلبي بنارِ غُرورهم يا ربِّ فاحرقْ مُحرقِيَّ بناري

بكر (يدخل): سيدتي، لقد أرسلني مولاي والدك؛ لكي أقول لك لتكوني على استعداد؛
فهو قادم مع الأمير سعد.

ليلى: وغيرَ هذا ماذا قال؟

بكر: لم يَقُل شيئًا، وقد أمرني أن أُعَجِّل بالرجوع، فالوداع الآن (يخرج).

ليلى: ما أحلى الموت! إلى متى يا ربِّ تظلُّ المرأةُ مُقَيَّدَةً بسلاسل التقليد؛ يحكم أبواها
على قلبها يُقيِّدونها بمن يَشَاءون لا بمن تَشَاء! آه ما هذه السُّلطة الجائرة!

المشهد الرابع

(يدخل مهدي وسعد وزينب وزُمرَة من الفتيان.)

مهدي: هو ذا عريسُك يا ابنتي العزيزة، قد اخترته لك من بين البشر لتكوني له
خاضعةً ومُحترمة، فاشكُري الله الذي أولاك هذا الحظَّ السعيد.

ليلى: فليكن ما تشاء يا أبي.

سعد: لي الشرف بأن أكون صهرك أيُّها الأمير العالي المقام.

نشيد العرس

(يختاره جوق الممثلين ويُنشدُه الممثلون المذكورون.)

مهدي: حمدًا لله الذي بارك اجتماعنا، ونسأله أن يجعل قران العروسين مقرونا
بالصفاء والبنين. الآن أرونا أيُّها الفتیان من ألعابكم ورقصكم ما يُطرب الفؤاد وينفي
الهمَّ والكدر.

الفَتِيَان: واحد يعزف على الشَّبَّابة والباقون يرقصون ويدبكون ويغنُّون حسب العادات العربية. ولجوق المُمَثِّلِينَ أن يختاروا ما يعلمونه من هذه الأغاني وأساليب الرقص. وإذا كان مَنْ يرقص بالسَّيف والترس فذلك جميل إذا أمكن. وعند النهاية يقول المهدي: **مهدي:** شكرًا لمن جمع القلوب بكلمة. والآن يجب أن نخرج لنقوم بالواجبات الدِّينية الواجب أن يُحتفل بها في مثل هذا المقام.

(الجميع يخرجون يَهْزِجُونَ بالغناء المعروف عند العامَّة «بالحدو»):

يا مِيرَنَا يا مِيرَنَا اليوم كمل سعدنا
نحن رجالك كلنا يا مِيرَنَا ويا عريسنا

(الستار)

المنظر الثالث

(في برية)

المشهد الأول

(قيس وحده)

تذَكَّرْتُ ليلَى والسَّنين الخواليَا	وأيام لم يعدي على الناس عاديَا
فيا ليلَ كم من حاجةٍ لي مُهمَّة	إذا جئتُكم بالليل لم أدِر ماهايا
خليليَّ إلَّا تَبْكِيَانِي فأرتجي	خليلاً إذا أجريتُ دمعي بكَا لِيَا
فلا أشرف الإيقاع إلَّا صباة	ولا أنشد الأشعار إلَّا تداويا
وقد يجمع الله الشَّتيتَيْن بعدما	يَظَنُّان كلَّ الظنِّ أن لا تلاقيا
وَحَبَرْتُمانِي أَنَّ تيماء ^{١٠} منزلٌ	لَلَّيلى إذا ما الصَّيفُ ألقى المراسيا

^{١٠} تيماء: واحة في شمالي جزيرة العرب، جنوبي دومة الجندل، بالقرب منها «الأبلق» حصن السَّمِوعل.

فما للنَّوى يرمي بليلى المَرَامِيا
تواشوا بنا حتى أُخْلِي مكانيا
وداري بأعلى حُزْموت^{١٢} أتانيا
قضى الله في ليلي ولا ما قضى ليا
فهلاً بشيءٍ غير ليلي ابْتِلَانِيا
يكون كفافاً لا علي ولا ليا
من الناس إلّا بلّ دمعي رِداثيا
سهيل^{١٣} لأهل الشام إلّا بدا ليا
علي فلن تَحْمُوا البُكا والقَوافيا
فهذا لها عندي فما عندها ليا
وقد عشتُ دهرًا لا أعدُّ اللياليا
أحدث عنك النفس بالليل خاليا
وما زادني الواشون إلّا تَماديا
وبالشوق منّي والغرام قضى ليا
بوجهي وإن كان المُصلّى ورأيا
أثْنين صليْتُ العشا أم ثمانيا
وأشبههُ أو كان منه مُدانيا
فمن لي بليلى أو فمن ذا لها بيا
فيا لِيَتَنِي كُنْتُ الطبيب المُداويا
ولولا سواد المِسك ما كان غاليا
أرى حاجتي تُشْرِى ولا تُشْتَرى ليا

فهذي شُهور الصَّيف عَنَّا قد انْقَضَتْ
إذا ما جلسنا مجلسًا نَسْتَلِذُهُ
ولو كان وإش باليَمَامَةِ^{١١} دارهُ
خليلي لا والله لا أملك الذي
قضاها لغيري وابتلاني بحُبِّها
فيا ربِّ سوَّ الحبِّ بيني وبينها
فما سُمِّيتُ عندي لها من سَمِيَّةٍ
ولا سرتُ ليلًا من دِمَشق ولا بدا
فإن تمنعوا ليلي وطيب حديثها
فأشهدُ عند الله أني أحبُّها
أعدُّ الليالي ليلةً بعد ليلةٍ
وأخرج من بين البيوت لعلني
وما زادني النَّاهُونَ إلّا صِبابَةً
قضى الله بالمعروف منها لغيرنا
تراني إذا صَلَّيْتُ يَمَمْتُ نحوها
أصلي فلا أدري إذا ما ذكرتُها
أحبُّ من الأسماء ما وافق اسمها
خليلي ليلي أكبر الحاج والمُنَى
يقولون ليلي بالعِراق مريضَةٌ
يقولون سوداء الجبين ذميمةٌ
فوالله ما أرجو من العيش بعدما

^{١١} اليمامة: من مقاطعات نجد، وهي اليوم واحة في المملكة العربية السعودية تُدعى العارض.

^{١٢} حُزْموت: منطقة جنوبي شبه الجزيرة العربية على خليج عَدَن وبحر عمان. والشاعر هنا يُشير إلى بُعد المسافة.

^{١٣} سهيل: نجمٌ يمانِيّ قيل عند طُلُوعه تَنَضَّجُ الفواكه وينقضي القَيْظ. وهناك قول: وأنى يلتقي سهيل والسُّهى. والسُّهى نجم آخر صغير يَخْتَفِي بين بنات نَعَش، وهو من النجوم الشامية، لذلك لا يَلْتَقِيَان.

قَتَلْتُ لِّلَّيْلِ إِخْوَةً وَمَوَالِيَا
أَشَدَّ عَلَى رَغْمِ الْعِدَّةِ تَصَافِيَا
خَلِيلَيْنِ إِلَّا يَطْلُبَانِ التَّلَاقِيَا
يَرُومُ سَلَوًا قَلْتُ أَتَى لِمَا بِيَا
فَشَأُنُ الْمَنَايَا الْقَاضِيَا وَشَانِيَا
وَأَنْتِ الَّتِي إِنْ شَتَّتِ أَنْعَمْتَ بِالْيَا
لَعَلَّ خِيَالًا مِنْكَ يَلْقَى خِيَالِيَا
أَصَانِعِ رَحْلِي أَنْ لَيْلَى حِذَائِيَا
شِمَالًا تَنَازَعْتُ الْهُوَى عَنْ شِمَالِيَا
وَإِنِّي لَا أَلْقَى لَهَا الدَّهْرَ رَاقِيَا
عَلَيْنَا فَقَدْ أَمَسَى هَوَانَا يَمَانِيَا
وَحَبَّ إِلَيْنَا بَطْنُ نَعْمَانَ وَادِيَا
عَلَيَّ الْهُوَى لَمَّا تَغَنَّيْتُمَا لِيَا
أَبَالِي دُمُوعِ الْعَيْنِ لَوْ كُنْتُ خَالِيَا
إِلَى مَنْ تَشِيهَا أَوْ لِمَنْ أَنْتِ وَاشِيَا
فَزِدْنِي بَعَيْنَيْهَا كَمَا زِدْتَهَا لِيَا
وَإِنْ كُنْتُ مِنْ لَيْلَى عَلَى النَّاسِ طَاوِيَا
لِي النَّعْشِ وَالْأَكْفَانِ وَاسْتَغْفِرُوا لِيَا

وَتُعْرِضُ لَيْلَى عَنْ كَلَامِي كَأَنَّنِي
فَلَمْ أَرِ مِثْلَيْنَا خَلِيلِي صَبَابَةٍ
خَلِيلَيْنِ لَا نَرْجُو لِقَاءً وَلَا نَرَى
يَقُولُ أَنَا سَ عَلَى مَجْنُونٍ عَامِرٍ
إِذَا مَا اسْتَطَالَ الْهَجْرُ يَا أُمَ مَالِكٍ
فَأَنْتِ الَّتِي إِنْ شَتَّتِ أَشَقِيَّتِ عِشْتِي
وَإِنِّي لِأَسْتَغْشِي وَمَا بِي نَعْسَةٍ
إِذَا سَرْتُ فِي أَرْضِ الْفَضَاءِ رَأَيْتُنِي
يَمِينًا إِذَا كَانَتْ يَمِينًا وَإِنْ تَكُنْ
هِيَ السُّحْرُ إِلَّا أَنَّ لِلْسُّحْرِ رُقِيَّةً
أَلَا أَيُّهَا الرِّكَبُ الْيَمَانُونَ عَرَّجُوا
أَسْأَلُكُمْ هَلْ سَالَ نَعْمَانٌ^{١٤} بَعْدَنَا
أَلَا يَا حِمَامِي بَطْنِ نَعْمَانَ هَجَّتُمَا
وَأَبْكَيْتُمَانِي وَسَطَ صَحْبِي وَلَمْ أَكُنْ
أَلَا أَيُّهَا الْوَاشِي بَلِيلَى أَلَا تَرَى
فِيَا رَبِّ إِذْ صَيَّرْتَ لَيْلَى هِيَ الْمُنَى
عَلَى مِثْلِ لَيْلَى يَقْتُلُ الْمَرْءَ نَفْسَهُ
فَأَمَّا وَقَدْ ضَنُّوا بَلِيلَى فَقَرَّبُوا

المشهد الثاني

(قيس - الملوّح - سعاد)

الملوّح (يدخل): هو هنا يا بُنية، هو هنا.

^{١٤} هو نَعْمَانُ الْأَرَاكِ، وَإِذْ يَنْبُتُ فِيهِ الْأَرَاكِ يَصُبُّ إِلَى «وَدَان» بَيْنَ مَكَّةِ الْمَكْرَمَةِ وَالطَّائِفِ، بَيْنَ أَدْنَاهُ وَمَكَّةِ نِصْفَ لَيْلَةٍ، وَنَعْمَانُ أَيْضًا وَادٍ قَرِيبٌ مِنَ الْفُرَاتِ عَلَى أَرْضِ الشَّامِ، وَلَكِنْ الْأَوَّلُ هُوَ الْمَعْنَى هُنَا.

سعاد: ما باله يبكي؟

الملّوح (إلى سعاد): قد جنى عليه الحبُّ. لهفي عليك يا ولدي.
قيس:

وقد خبروني أنّ ليلي تزوّجتُ ولا بدّ لي من أن أُلقي حليها
فإن كان مثلي لا أُلّمها على الهوى وإن كان من أوباش^{١٥} ما حوت القرى
لقد تعسّت ليلي وأخنت خليلها

سعاد: ومن أين عرّف بزواج ليلي؟

الملّوح: لا أدري. (إلى قيس) مرحباً يا بُني.
قيس: وألف تحية.

الملّوح: لقد أشقيت نفسك وأشقيتنا، فدع هذا الغرور.

قيس: خلّني يا أبي وشأني، فإنك تزيد بكلامك هذا أشجاني، فقد قضى الأمر وبلغ
السّيل الزّبي^{١٦}!

متى نلتقي حتى أقول وتسمعا
بكت عيني اليمنى فلماً زجرتها
أما وجلال الله لو تذكّرني
بلى وجلال الله ذكري لو انه
وأذكر أيام الحمى ثم أنثني
فليست عشيات الحمى برواجع
فقد كاد حبل الوصل أن يتقطعا
عن الجهل بعد الحلم أسبكتنا معاً
كذكراي ما كفكفت للعين مدمعا
تضمّنه صم الصفا لتصدعا
على كبدي من خشية أن تقطعا
إليك ولكن خلّ عينيك تدمعا

الملّوح: وماذا تفعل الآن. ألا تذهب معنا؟

^{١٥} الأوباش: الأخلاط، والسّفلة. والمُفَرَّد وَبَش.

^{١٦} بلغ السيل الزّبي: مثّل يُضرب عند بلوغ الأمر أقصاه. والزّبي جمع زُبّة وهي ذروة الرابية التي لا يصلها ماء، وهي كذلك حُفرة في مكان عال يُصاد بها الذئب أو الأسد.

الفصل الثالث

قيس: لا يا أبي؛ فهذه السماء خيمتي منذ الآن.
الملّوح: الله من الغرام فهو الويل والشقاء. سيري بنا.
سعاد: أبي، أنتركه هنا؟ (إلى قيس) أخي بحقك فلنذهب.
قيس: قلت لكما اترُكاني.
الملّوح: بل نأخذك معنا.
قيس: لا، هذا لا يكون (يختبئ).
الملّوح: فلنذهب يا بُنية؛ فُجرح الهوى ما له دواء (يخرُجان).

المشهد الثالث

(قيس - سعد - غلام - أسد)

قيس (يدخل):

إليك عني فإنني هائمٌ وصبُّ	أما ترى الجسم قد أودى به العطبُ
لو أنهم سألوا من بالغرام قَضُوا	هل فرَّجت عنكم مذ متُّم الكربُ
لقال صديقهم إن قد بلى جسدي	لكنَّ نار الهوى في القلب تلتهبُ
ضاقَت عليّ بلاد الله ما رُحِبَت	يا للرجال فهل في الأرض مطرُبُ
البين يؤلمني والشوق يجرحني	والدار نازحةٌ والشمل مُنشعبُ
كيف السبيل إلى ليلي وقد حَبَبَت	عهدي بها زمنًا ما دونه حُجُب

سعد:

ومن عجب جنونك في فتاةٍ	مزوجةٍ سواك ولن تراها
أيا مجنون كم تهوى بليلى	كأنَّ الله لم يخلق سواها

قيس:

وما أكثر الأخبار ليلي تزوجت تُرى هل يوافي بالطلاق بشيرُ؟

ومن أنت يا رجل حتَّى تحدَّثني بمثل هذا الكلام؟

سعد: أنا هو زوجها سعد.

قيس:

بَعَيْشِكَ هَلْ ضَمَمْتَ إِلَيْكَ لَيْلِي قَبِيلَ الصَّبْحِ أَمْ قَبَّلْتَ فَاهَا
وَهَلْ دَارَتْ يَدَاكَ بِمَنْكِبَيْهَا وَهَلْ مَالَتْ عَلَيْكَ ذَوَابَتَاهَا^{١٧}

سعد (يضحك): اللَّهُمَّ إِذَا حَلَفْتَنِي فَنَعَمْ.

قيس:

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْتَ تَحْظِي بِقُرْبِهَا وَتَلْتُمُ فَاهَا أَوْ تَضُمُّ ثَدْيَاهَا
وَتَعْتَنِقُ الْأُرْدَافَ مِنْهَا وَخَصَرَهَا وَتَنْشُقُ مِنْ لَيْلَى الْعَشِيَةِ رِيَّاهَا

سعد: دع هذا الجنون يا مَفْتُون، واحذِرْ سطوة الأعوان، فقد صدر أمر أمير المؤمنين بهذِرْ دمك ثانية إذا كُنْتَ لَا تَعُودُ عَنْ ذِكْرِ هَذِهِ الْجَارِيَةِ الَّتِي فَضَحَتْهَا فِي الْأَشْعَارِ وَهَتَكَتْهَا فِي سَائِرِ الْأَمْصَارِ.

قيس (يُنْشِدُ وَهُوَ فِي اضْطِرَابٍ مَزِيدٍ):

عَفَا اللَّهُ عَنْ لَيْلَى وَإِنْ سَفَكَتْ دَمِي فَإِنِّي وَإِنْ لَمْ تَجْزِنِي غَيْرَ عَاتِبٍ
عَلَيْهَا وَلَا مِثْلِي لِلَّيْلِ شَكَايَةً وَقَدْ يَشْتَكِي الْمُبْلَى إِلَى كُلِّ صَاحِبٍ
يَقُولُونَ تُبُّ عَنْ ذِكْرِ لَيْلَى وَحُبِّهَا وَمَا خِلْتُنِي عَنْ حُبِّ لَيْلَى بِتَائِبٍ

سعد: الجنون فنون (يخرج).

قيس: آه من الدَّهْرِ وَأَحْكَامِهِ وَاللَّيَالِي وَجُورِهَا!

غلام: سلام أَيُّهَا الشَّابُّ الْأَدِيبُ.

قيس: وبعد السلام يا غلام؟

غلام: كتاب من سَيِّدَتِي لَيْلَى (يدفعه إِلَيْهِ).

^{١٧} الذُّؤَابَةُ: نَاصِيَةُ شَعْرِ الرَّأْسِ، أَوْ مَنَبِتُ النَّاصِيَةِ مِنَ الرَّأْسِ، وَذَوَابَتَاهَا: خَصَلَتَانِ مِنْ شَعْرِهَا، أَوْ جَدِيلَتَاهَا.

قيس:

إذا جاءني منها الكتاب بعينه خلوتُ بنفسي حيث كنت من الأرض
وإنني لأهواها على كلِّ حالةٍ وأقضي على نفسي بها بالذي تقضي
(يقرأ الكتاب جهراً):

بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. اعلم يا بن العم
— وذاك الله عاقبة الضَّير والغم — أنه قد أوحَّشَنِي فراقك وآلَمَنِي اشتياؤُكَ، وقد
مرَّ عليَّ زمان وأنا مُواظبة على الأحزان، لا أرى طريقاً للمفرِّ ولا قراراً للمُستقرِّ
إلى أن ضاق صدري وقلَّ صبري وتواترت عليَّ الأسقام من كثرة البكاء وقلَّة
الطعام، ولا شكَّ بأنَّ حياتي في هذه الدُّنيا صارت قصيرة، وأيام إقامتي يَسيرة؛
حيث لم يُعد لي صبر على الفراق، واكتوى قلبي بنيران الوجد والاشتياق، وما
بقي في الأمر إلا التسليم والانقياد على ما قدَّره علينا رب العباد.

(يهزُّ رأسه) آه من الزمان! ما أقساه! وما أتَعَسَ حظُّ العاشقين بين البرابرة الذين
لا يفهمون لغة القلوب! (يا غلام أمهل لتأخذ لها الجواب) يكتب هنيهة، ثم يدفع الكتاب
إلى الغلام قائلاً له: سرُّ بأمان الله.

غلام: يذهب مُبدياً إشارة الخضوع.

قيس:

أحنُّ إلى ليلي وإن شطَّت النَّوى بليلي كما حنَّ اليراع المُشطُّ
يقولون ليلي عذبتك بحبِّها ألا حبًّا ذاك الحبيب المعذب
فلو تلتقي في الموت رُوحِي ورُوحها ومن دون رَمْسِينَا من الأرض منكب
لظلَّ صدَى رَمْسِي وإن كنتُ رَمَّةً لرَمْس صدَى ليلي يهشُّ ويطرَّب

أسد: يمرُّ بالمرسح كعابر طريق على ظهره جراب وبيده عصاً غليظة يتوكأ عليها.

قيس: إلى أين يا عابر الطريق؟

أسد: إلى حي بني عامر.

قيس: ناشدتك الله قف، فلي كلمة أحملك إيّاها.

أسد: قل ما تشاء يا أديب.

قيس: متى وصلت إلى تلك المنازل والأعلام أقر ليلى مني السلام وأنشدّها:

حلفتُ يميناً لم أخنكِ موَدَّةً	وإني بكم حتى المَماتِ ضنينُ
تُخبرني الأحلام أنني أراكمُ	فيا ليت أحلام المَنام يقيُنُ
وإنَّ فؤادي لا يَلين إلى هوى	سواكِ وإن قالوا بلى سيلينُ

أسد: وهل أنت مُضنى بها إلى هذا الحد؟

قيس: نعم، فلقد:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى	فصادَفَ قلباً كان قبل الهوى خلوا
ألا حُبّاً أطلال ليلي على البلا	وما بذلتُ لي من نوالٍ وإن قلّاً
فلا يتمادى العهد إلا تجددت	موَدَّتُها عندي وإن زعمت ألا

أسد: ناشدتك الله عُد عن هذا الحبِّ فهو يُرديك.

قيس:

ألا قل لمن أمسيت مُضنى بحبها	ومن هي رجاء النفس بالبُعد والقُرب
أناخ هواها في فؤادي فصادنِي	ومن ذا يُطيق الصبر عن مُجمل الحب
فلا غرو أنَّ الحبَّ للمرء قاتلٌ	يُقلِّبُه ما عاش جنباً إلى جنب
ويسقيهِ كأس الموت قبل أوانه	ويُوردهُ قبل المَماتِ إلى التُّرب
فإن كان ذنبي حبَّ ليلي وأهلها	فلا غفر الله المُهَيِّم ^{١٨} لي ذنبي

^{١٨} المُهَيِّم: الحافظ، وهي من أسماء الله تعالى، في معنى المؤمن من آمن غيره من الخوف، فتكون المهيم
بمعنى المُؤْتَمَن على خلقه والقائم بأعمالهم وأرزاقهم وأجالهم.

الفصل الرابع

خيمة من الشعر

المشهد الأول

(ليلى وحدها مريضة في فراشها.)

شئت يا رب أن أعيش شقيهُ	فلتكن يا رحمان تلك المَشِيَّة
وقضى والدي بتنكيد عِيشي	قاتل الله سُلطة وإِدِيَّه
كم فتاةٍ جنى عليها أبوها	ورماها بجرٍّ شرٍّ رَزِيَّه ^١
فرَّق الوالدان بالجور ما قد	جمَعَتْهُ يدُ الإله القويِّه
سوف يبكي التاريخ ليلي وقيسًا	إنَّ ليلي وقيس أنكى ضَحِيَّه
ليتني لم أكن ولا كان قيسُ	فحياة الاثنين معنى الرَزِيَّه

^١ الرَزِيَّة: المصيبة. والجمع: رزايا.

أَتَشْعُرُ يَا قَيْسُ فِي وَحْدَتِكَ بِآلَامِ لَيْلَى وَعَذَابِ قَلْبِهَا؟ إِنَّ نَفْسِي حَزِينَةٌ حَتَّى الْمَوْتِ!^٢
لَعَنَ اللَّهُ السَّلَاسِلَ الْقَاسِيَةَ الَّتِي حَبَكْنَهَا يَدُ التَّقَالِيدِ وَطَوَّقَتْ بِهَا عُنْقِي. وَقُبِّحَتْ يَا سُلْطَةَ
جَائِرَةٍ يَتَلَذَّذُ بِهَا الْوَالِدَانِ يَجُورَانِ عَلَى عَاشِقَيْنِ، قَاتِلَيْنِ هِيَ طَرِيقُ الشَّرَفِ نَسْلُكُهَا. فَقُبِّحَتْ
يَا شَرَفًا تُكَدِّرُ صَفْوَةَ الْحَيَاةِ إِلَى الْمَمَاتِ، الْحُبُّ مِنْ اللَّهِ وَالشَّرَفُ مِنَ النَّاسِ، فَهَلْ نَتْرُكُ سَنَّةَ
اللَّهِ وَنَتَّبِعُ تَقَالِيدَ النَّاسِ الْفَاسِدَةِ؟ أَيُّهَا الْوَالِدُ الْقَاسِيُ أَلَمْ تَكُنْ فَتَى عَاشِقًا تَتَضَايِقُ مِنْ
خِيَالِكَ إِذَا وَقَفَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَنْ تَهْوَاهُ؟ يَا لَيْتَ كَلِمَتِي نَافِذَةً فِي عِشَائِرِ الْعَرَبِ لِأُطْلِقَ الْقَلْبَ؛
ذَلِكَ الطَّائِرُ الصَّغِيرُ مِنْ قَفْصِ التَّقَالِيدِ الْمَحْبُوكِ مِنْ أَشْوَاكِ الْعَوْسَجِ وَالْقِتَادِ.^٣ وَلَكِنْ قَدْ
كُتِبَ الشَّقَاءُ لِلْحُبِّ وَسَيَبْقَى شَقِيًّا إِلَى الْأَبَدِ. يَا قَيْسُ، يَا قَيْسُ، يَا سَلْوَةَ الْأَحْزَانِ.

سلام عليكم لا سلام ملامية	ولكن سلام للمحب عطور
لقد عيل صبري بعدكم وتكاثر	همومي ولكن المحب صبور
فصبرًا على ريب الزمان وجوره	لعل صروف الدوائر تدور

(تتكئ على زندها وتبكي.)

المشهد الثاني

(ليلى - سعد)

سعد (يدخل): حبيبتي ما بالك كئيبة وما بال عينيك تذرفان الدموع؟!
ليلى: دُعني يا سعد فَعِيشَتِي مَوْت.

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

^٢ نفسي حزينة حتى الموت: قول إنجيلي خاطب به السيد المسيح تلاميذه بطرس، ويعقوب، ويوحنا، قبل صلاته في الجسمانية. راجع (مز ١٤ : ٣٤).

^٣ القِتَاد: شجر صلب له شوك كالإبر.

سعد: ما هذه النِّعمة الجديدة؟

ليلى: نعمة قلب مُعذَّب.

سعد: بحقك صرّحي فإنني أتعذّب كلّما رأيتك حزينة، ولا تخفي داءك فلعلني أجد له الدواء.

ليلى: هيهات فقد استحکم الدّاء وعزّ الشّفاء.

سعد: لا صعب في الكون وميدان الأمل فسيح واسع.

ليلى: لغيري يا سعد.

سعد: ولماذا؟

ليلى: غيري مريض الجسد أما أنا فمريضة القلب والجسد.

سعد (على حدة): إنّ في الأمر لسراً صرّحي ولا تخافي.

ليلى: ألم تسمّع ما قاله الشاعر:

بالسرّ إن باحوا تبّاح دماؤهم وكذا دماء البائحين تبّاحُ

سعد: يظّهر أنك عاشقة.

ليلى: فقد انتزعتني من قلبي يوم زُففت إليك، ولكنّ أعراسه لم تزل تُعاودني فدعني أعاركه فإمّا الغلبة وإمّا القبر، ولا تُجادلني بعد الآن.

سعد (على حدة): قاتل الله الغرام، لقد كنتُ شاعراً بالأمك وقد علمتُ أنك حاضرة الجسم غائبة القلب.

ليلى (على حدة): أشائر الحبّ لا تخفى على أحد.

سعد: ولو لم تبدأي بالحديث لما فاتحتك بهذا الأمر.

ليلى: أنت رزين عاقل ولا ذنب عليك، إنّما ستسقط خطيئتي على رأس والدي الظالم الجائر.

سعد: لقد وقع المحذور فلا تجزعي (على حدة) مصيبة والله. أنا ذاهب لألاقي والدك إلى الصّيد بوادي الأراك (يخرج).

المشهد الثالث

(ليلي - رسول)

وادي الأراك وما أحبُّ ثراكا وألذُّ لُقيا الحبِّ في مَغناكا
يا قيس ما أحلى المَحَبَّة والهوى لو كنتُ أظفَر ساعة بِلِقاكا
لكنَّ دون الوَصْل أهوال وهيب هات اللقاء فقد حُرِمتُ لِقاكا

آه من نظرةٍ إلى وجهك يا قيس! وا شوقي إلى ساعةٍ نختلي بها وما علينا رقيب ولا عدول،
ولكن هذا حظ ...

رسول: سلامٌ يا سيِّدتي.

ليلي: وعليك يا رسول الخير.

رسول: هذه رسالة من سيِّدي قيس.

ليلي: من قيس؟!

رسول: نعم (يدفع الرسالة إليها).

ليلي: آه يا حبيب القلب. تفصُّ الرسالة وتقرأ:

من قيس بن الملوِّح الهائم الوامِق،^٤ والحبیب الصادق، إلى سيِّدة الملاح وكوكب
الصباح، دُرَّة الصَّدَف وياقوتة الشرف، من قد اتَّصفت بالمحاسِن البهيَّة
والصِّفات العلية والآداب السنيَّة ليلي العامريَّة، إنَّني بينما كنتُ مُتَشوِّقًا إلى
استِماع أخبارِكَ واستكشافِ آثارِكَ، واستماع لفظِكَ ومُشاهدة أنوار جمالِكَ؛
إذ وردتُ عليَّ رسالتُكَ المرسومة بَسِيما المحبَّة الفائقة، المُسفرة عن ازدياد
الصُّحبة الصادقة، فتلقَّاها القلب بالفرح وزال عنه الغمُّ وانشرح، غير أنَّه لا
خفاكَ ما أنا فيه من القلق والكدر والضَّجَر وكثرة البُكاء والسَّهر، وكيف أنَّني
تركتُ الحدَّ المألوف وانفردتُ في الرُّوابي والكهوف، أهيمُ مع الوحوش والغزلان
وأنْتقل من مكانٍ إلى مكان، وحيدًا غريانًا ذليلاً مُهانًا أُقاسي ضراً^٥ وأحزانًا، لا

^٤ ومق فلاناً أحبَّه، والوامِق اسم الفاعل: المُحب.

^٥ الضَّرُّ والضُّرُّ: سوء الحال والشدَّة.

الفصل الرابع

يستقيم لي حال، ولا يرتاح لي بال، حتى صرْتُ نَحِيلاً كالخيال؛ وذلك من كثرة
الأشواق، وتباريح الهوى ومرارة الفراق. فقاتل الله أباك الغدار وبلاءه بالويل
والدمار؛ لأنه كان سبب بليّتي وطردني عن أهلي وعشيرتي، وما كفاه ذلك حتى
إنه زَوَّجكِ برجلٍ غريب واختار البعيد على القريب، وهذا شرّح ما بي من الشقاء
والتعذيب، وإني لك على طول الزمان حبيب.

ليلي: آه من جور الليالي وظلم الآباء. (إلى الرسول) وهل هو مُنْشِرِحِ الخاطر؟
رسول: من أين الانشراح فهو تأثُّه شريد لا يلوي^٦ على شيء.
ليلي:

لم يكن المجنون في حالةٍ إلا وقد كنتُ كما كانا
لكنّه باح بسرّ الهوى وإنّني قد زدْتُ هُجراناً

اذهب أيّها الرسول وقلْ له عني هذين البيتين:

وإني لأرجو قُربكم ووصالكم ومن دونكم أمرٌ لديّ مُخيفٌ
فلا تعجبوا إن كان في الحبِّ صادقاً فإنّني لكم دون الأنام حليفٌ

رسول: أمرك سيّدتي (يخرج).

ليلي: آه يا قيس.

المشهد الرابع

(ليلي - سعد)

سعد (يدخل): من كنتِ تحدّثين؟ ولماذا تُردّدين ذكر قيس؟
ليلي: لا هذا ولا ذاك.

^٦ ذهب لا يلوي على شيء: ذهب مُسرّعاً، لا يقيف ولا ينظر.

سعد: بلى سَمِعْتُكَ تقولين:

لم يكن المجنون في حالةٍ إلا وقد كنتُ كما كانا

وقلتِ أيضًا للغلام قل لقيس عني:

وإني لأرجو قُربكم ووصالكم ومن دونكم أمرٌ لديّ مُخيفٌ

ليلى: ألم تكفيني أحزاني حتّى أزيد بليّتي بلوى فدعني وشأني.

سعد: أكذا تُخاطبِ الجارية سيّدها؟!

ليلى: أنا الجارية وأنت السيّد؟! لعن الله من جعلنا كذلك.

سعد (يرى الرسالة فيهجم ويتناولها): ما هذا الكتاب؟ (يفضّه ويقرأ به ثمّ يقول)
لقد كُشِفَ المُحِبُّاً فِلْكَلِّ ساقِطة لِاقِطة.^٧

(ليلى تنهض من الفراش وتهجم لتأخذ الكتاب.)

سعد (يرفُسُها برجله ويصفَعُها بيده): ويلكِ يا خائنة!

ليلى: ويحك يا جبان!

سعد: اخزسي، فقد انفَصَحَ السَّرُّ!

ليلى: لا أَسْتَحِي بحبِّ قيس، ولا أخاف. أحبُّه أحبُّه أحبُّه، فافعل ما بدا لك.

سعد: ستَذُوقين الحِمامَ بحدِّ هذا المُهَنَّد، وسيُجندل قيس على الثرى.

ليلى: أحبُّ قيساً وإنّني:

وَأَحْلُمُ فِي نَوْمِي بِهِ وَأَعِيشُ	إِذَا عَثُرْتُ رِجْلِي بِدَأْتُ بِذِكْرِهِ
قَوَى النَّفْسِ أَوْ كَادَ الْفَوَادُ يَطِيشُ	إِذَا ذُكِرَ الْمَجْنُونُ زَالَتْ بِذِكْرِهِ
فَقُلْتُ اقْتُلُونِي وَاتْرَكُوهُ يَعِيشُ	تَوَعَّدَنِي قَوْمِي بِقَتْلِي وَقَتْلِهِ

^٧ مثل يُضْرَب لَطَلَبِ التَّحْفُظِ عِنْدَ النُّطْقِ، أَوْ لِلتَّشْفِي مِمَّنْ لَا يَتَحَفَّظُ فِي مَا يَقُولُ. ومعناه: لكلِّ كلمةٍ ساقِطة أذنٌ لِاقِطة؛ أي: ما من كلمةٍ تُقال إلا وتُعرف.

سعد: لا يَعيشُ أَحَدٌ مِنكما. قاتلكِ اللهُ من ساقطة.

المشهد الخامس

(مهدي - سعد - ليلي)

مهدي (يدخل): ما هذا الجدل؟

سعد: أمرٌ يا مولاي تصطُكُ لهُ الرُّكْب!

مهدي: قلْ ما ذلك الأمر؟

سعد: ليلي خانتُ عهود الزَّواج.

مهدي: ابنتي كذا فعلت! ومن أين عرفت؟

سعد: من هذا الكتاب، تفضَّل واقرأ، فقد أصابك من لعنةِ المجنون أكبرُ حصَّةٍ وأوفى

نصيب!

مهدي: أنا؟

سعد: نعم، تفضَّل واقرأ.

مهدي (يأخذ الكتاب ويقرأ): أنتِ يا ليلي تُراسِلين هذا المجنون وتَكشِفين لهُ أسرار الهِيام؟! ألم ترتجِفْ أعصابكِ عندما كتب: قاتَل اللهُ أباك الغدَّار وبلاه بالويل والدَّمار؟ ويحك يا شقيَّة! يقول هذا وترضين عنه يا ممقوتة يا ناكِرة الجميل.

ليلى: كفاك يا أبي، أَتَظَلِّمُني وتدَّعي الإحسان؟ قَبَّح اللهُ كلَّ والدٍ ظالم يُزَوِّج ابنته بمن يُريد لا بمن تُريد. سوف يبقى ذكرك مرفوقاً باللَّوم كلَّما طالعَ الناسُ قصَّةَ ليلي والمجنون.

مهدي: اصمَّتي، فقد الصقتُ بشرَفي وصمةَ عارٍ لا تنغسلُ إلَّا بِدَمِك.

ليلى: هو ذا عُنقي اقطَعُهُ بحدِّ سيفك وأرْحني من هذه الحياة.

مهدي: لأفعلنَّ هذا بعدَ حين.

ليلى: بل الساعة إن كنتَ عريباً شريعاً.

مهدي: ما هذه الوقاحة؟

ليلي: هي ابنة جُورك وظُلِمك.
مهدي: ويحك! (يهجُم عليها بالسَّيف مُجَرَّدًا).
سعد (يُمسِكُه): ناشدْتُكَ الله لا تفعل.
مهدي: إنها تستحقُّ القتل.
سعد: عفوك أكبر يا عمَّاه.
ليلي: زئبان افتَرَسا نَعْجَةً بريَّةً ويقولان: عفواً ورحمة.
مهدي: قلتُ لك تَسْتَحِقُّ الموتُ فدَعْنِي.
مهدي: ويحك يا ساقِطة.
ليلي: أنت كُنْتَ سببَ سُقُوطِي، فَوَيْلَ لك متى وقفتَ أمامَ الديَّانِ العادلِ.

المشهد السادس

(زينب - الطبيب - مهدي - سعد - ليلي)

زينب: ما بالكم في احتِدَام؟
ليلي: أُمِّي أُمِّي، يُمَثِّلانَ آخَرَ مشهدٍ من مأساة حياتي المملوءة بالآلام والمصائب،
فيا موت زُرْ (يُغمى عليها).
زينب: حبيبتي ليلي. (تُحرِّكها) لا حَرَاك بها.
مهدي: إِنَّ موتها لخير من حياتها الملوَّثة بأقذار الغرام. إذا ماتت فليس من أَسْفٍ
على مِثْلِها شقيَّة.
سعد (يَضْرِبُ يَدًا بيدٍ على حِدَة): فديتُك يا ليلي.
زينب: عَجِّلُوا بالطبيب، الطبيب. ويلاه!
مهدي: انهبْ يا غلام وادْعُ الطبيب (يخرج غلام).
سعد: آه لم يُعَد من أَمَل بحياتها.
زينب: وا أسفاه لم تَدُقْ واحدةً من بنات حوَّاء ما ذاقته هذه الابنة التاعسة. هات
الإبريق يا سعد.
سعد: هذا هو.

زينب: انْصَحْ وَجْهَهَا بِالْمَاءِ.

(سعد يفعل.)

ليلى (تتحرك): أُمِّي!

زينب: عُيُونِي، مُهْجَتِي!

ليلى: وَيْلَكَ يَا قَاسِي لَقَدْ قَرُبَ الْمَوْتُ.

علقمة: أَنْعَمْتُمْ صَبَاحًا.

الجميع: مَرْحَبًا بِالطَّبِيبِ.

مهدي: قَدْ اشْتَدَّتْ عَلَى لَيْلَى وَطَأَةُ الْمَرَضِ.

علقمة: سَنَصِفُ لَهَا دَوَاءً (يَجْسُ يَدَهَا وَيُظْهِرُ عَلَامَاتِ الْارْتِبَاكِ) لَا تَخَافِي يَا بُنَيَّةَ.

(إلى سعد) عَجَلْ وَجِئْنِي بِقَلِيلٍ مِنْ نَبَاتِ الْخُبَّازِيِّ.^٨

ليلى (تهذي): اقْتُلُونِي، اذْبَحُونِي، أَرِيحُونِي مِنْ هَذِهِ الْحَيَاةِ الثَّقِيلَةِ.

علقمة: إِنَّ فِي الْأَمْرِ لِسِرًّا خَفِيًّا.

مهدي: انْظُرْ هَلْ تَغَيَّرَتِ الْأَعْرَاضُ؟

علقمة: آه لَقَدْ ضَاعَتِ الْأَمَالُ.

ليلى: أُمِّي، سَامِحْنِي، أَبِي ظَالِمٌ لَا ذَنْبَ عَلَيَّ. سَامِحْنِي يَا قَيْسُ، اقْتَرَبَ مِنِّي فَأَوْدَعَكَ

لَا تَبْعُدْ بِحَقِّ الْمَحَبَّةِ، اقْتَرَبَ يَا قَيْسُ. (تَسْتَغِيثُ) أُمِّي اسْقِنِي.

زينب: هَذَا الْإِبْرِيْقُ.

(ليلى تأخذه فيسقط من يدها وتلفظ رُوحها.)

زينب: عَجَلْ اقْتَرِبْ يَا طَبِيبَ.

علقمة (يجسُّ نبضَهَا إِلَى الْجُمْهُورِ): لَقَدْ قَضَتْ. أَعَاضُنَا اللَّهُ بِطُولِ بَقَائِكُمْ.

(زينب تتفجّع وتبكي.)

^٨ الْخُبَّازِي: بَقْلَةٌ مُسْتَدِيرَةُ الْوَرَقِ، لَهَا زَهْرٌ أَبْيَضٌ مُوَشَّى بِحُمْرَةٍ تُؤْكَلُ مَطْبُوخَةً، وَيُتَدَاوَى بِهَا، لِمَا فِيهَا مِنْ خُصَائِصٍ شِفَائِيَّةٍ. وَالْعَامَّةُ تُطْلَقُ عَلَيْهَا: الْخُبْيِزَةُ، وَالْخُبْبِزِي.

لهفي على عُصْنِ الشَّبابِ النَّاظِرِ قصفَتْهُ أرياحُ المَنونِ القَاهِرِ
لهفي على ليلي فإن نهارنا من بعدها ليلٌ بدونِ أواخرِ
وا حرَّ قلبي قد قضتُ من يأسها والله يرحمُ كلَّ مرءٍ صابرِ
يا ليلَ قد أورثتِ قلبي علَّةً أبكيك يا ولدي بدمعٍ زاخِرِ

مهدي:

تركتِ العالمين بلا وداعٍ فوا لهفي على كرمِ الطُّباعِ
لقد مات السُّرور بموتِ ليلي وصار العيش من سَقَطِ المتاعِ
هي الدُّنيا تصير إلى زوالٍ وما للمرءِ إلَّا قيدُ باعِ

سعد (يدخل): ما هذا؟ أليلى قضت؟ يا لليلية!

دمعي عليك كديميةٍ وطفاء وتلهُفي يا ليل كالرَّمضاءِ
يا ليلَ لم يَجِنِ الجفاءُ فما جرى حتى جفوتِ ويا لَطولِ جفائي
يا حاملاً نعشِ الحبيبة لا تسرِّ مهلاً بربِّك لا تزدِ بَلْوائِي
ربَّاهُ ما هذي المُصيبة لم أعدُ أرجو الصِّفا وقطعتُ حبلَ رجائي
قضتِ الحبيبةُ والكنُوسُ تعكَّرت والقلبُ راح مع الحبيبِ النَّائي
فعليك يا ليلي السلام وحبذا من بعد ليلي مَصرعي وفنائِي

الجميع: بعد أن ينتهي سعد من إنشاد هذه القصيدة يُغني مُمثِّلُو هذا المشهد نشيداً مُحزنًا يُودِّعون به ليلي وهم يطوفون حول جُثمانها الممدد في فراشها، وهذا النشيد يُترك حَقَّ اختياره لَجوق المُمثِّلِينَ. وبعد هذا النشيد يُرخي السُّتار.

الفصل الخامس

ضريح في بريّة

المشهد الأول

(قيس - أسد)

أسد: من هنا يا سيّدي من هنا.

(قيس يدخل مكشوف الرأس حافيّ الرجلين مُتَحَيِّرًا.)

أسد: هذا ضريح العامريّة شهيدة هوك.

قيس (ينطرح على القبر ويقول): هنا ضحيّة الهوى العذري، وقتيلة سيف الجهل الوالدي، فيا للجريمة الهائلة! فلسوف تلعنُ الأجيال من فرّقنا وكدّر صفاءنا، وستُضرب الأمثال ببلوانا ما دام ناطقُ بالضاد. فالويل لك أيّها المَهدي يا بائع الذمّة وخائن الضمير! أنا سأموت وأسامحك، ولكن الله لا يُبرّك أيّها الوحش المُفترس. (سرًا) هذه وصيّتي ويضعها على الضريح ويقول إلى أسد: أما أنت أيّها الصديق فدعني وحدي واذهب، دعني غارقًا في بحر أحزاني إلى أن أَلْفِظ هذه الرُّوح، وألحقَ بمن عشقتها حتى في عالم الأبدية.

أسد: أَسْتَوْدِعُكَ اللهُ يَا سَيِّدِي.

قيس: جَوَزَيْتَ عَنِّي خَيْرًا (يدور حول الضريح وينشد):

أَيَا قَبْرَ لَيْلَى لَوْ شَهِدْنَاكَ أَعُولَتْ	عَلَيْكَ نِسَاءً مِنْ فَصِيحٍ وَمِنْ عَجَمٍ
وَيَا قَبْرَ لَيْلَى إِنَّ لَيْلَى غَرِيبَةٌ	بِأَرْضِكَ لَا خَالَ هُنَاكَ وَلَا ابْنُ عَمٍّ
وَيَا قَبْرَ لَيْلَى غَابَتْ الْيَوْمَ أُمُّهَا	وَوَالِدُهَا وَالْحَافِظُونَ لَهَا الذَّمَّ
فِيَا لَهْفَ قَلْبِي بَعْدَ فُقْدَانِ مُهْجَتِي	فَقَدْ أَخْمَدْتُ مِنْ بَعْدِهَا نَارَ ذِي سَلَمٍ ^١
وَيَا لَوْعَتِي سَهْمُ الْمَنُونِ أَصَابَهَا	فَأَصُمِّي فَوَادًا كَانَ بِالْوَجْدِ مُضْطَرِمٍ
فَكَيْفَ اللَّقَا وَالْقَبْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا	فِيَا رَبِّ لَا تُشْفِقْ عَلَى ظَالِمٍ ظَلَمَ
لَقَدْ ظَلَمُونَا وَاسْتَبَدُّوا فَوَيْلَهُمْ	لَدُنْ تَهْتَكِ الْأَسْرَارَ فِي مَوْقِفِ الْحَكَمِ
فِيَا لَيْلَ قَدْ حَانَ الْوَدَاعُ بَلَا لِقَا	وَيَا مَوْتَ أَحْلَى أَنْتَ مِنْ عَيْشَةِ الْأَلَمِ
وَهَذِي حَيَاتِي بِالشَّقَاءِ قَدْ ابْتَدْتُ	فَلَا عَجَبٌ إِنْ كَانَ بِالْمَوْتِ تُخْتَمُ

(يَنْتَجِرُ بِخَنْجَرٍ وَيَسْقُطُ عَلَى الصَّرِيحِ مُضْرَجًا بِدَمِهِ.)

المشهد الثاني

(يَدْخُلُ مَهْدِي وَسَعْدُ وَزَيْنَبُ وَعَلْقَمَةُ وَغُلَامَانِ لَزِيَارَةِ الْقَبْرِ.)

زَيْنَبُ (تَبْكِي): آه يَا وَلَدِي.

مَهْدِي: مَهْلًا اسْكُتِي لِنَرَى مِنْ هَذَا الْمُرْتَمِي عَلَى الصَّرِيحِ. (يَتَقَدَّمُ يَتَفَرَّسُ بِهِ) هُوَ

قيس! يَا قَيْسُ يَا قَيْسُ انْهَضْ يَا عَمَّاهُ!

علقمة (يَتَقَدَّمُ مِنْهُ فَيَرَى الْخَنْجَرَ وَيَجْسُ نَبْضَهُ ثُمَّ يَقُولُ): لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي.

^١ ذو سلم: وادٍ في الحجاز، والسَّلم في الأصل شَجَرٌ وَرْقُهُ يُسْتَحْدَمُ فِي الدَّبَاغَةِ، وَبِهِ سُمِّيَ هَذَا الْمَوْضِعُ. وَقَدْ أَكْثَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ ذِكْرِهِ. وَأَخْمَدْتُ نَارَ ذِي سَلَمٍ: مَاتَ أَهْلُ الْوَادِي جَمِيعًا وَلَمْ تَبْقَ فِيهِ حَيَاةٌ.

زينب: وا أسفاه عليكما.

سعد: ما هذا القِرطاس؟ (يُقَدِّمُهُ لمهدي).

مهدي (بعد أن يفتحه): هذه وصيّة قيس، اسمعوا:

أنا قيس المُلَوَّحُ مجنون عامر، قد قضيتُ من فرط الحُزن والجوى، قتلتُ نفسي
بيدي فلا يُطالبُ أحدٌ بثأري. أسأل الله أن يغفر ذنب المَهدِي ويُسَامِحَهُ على ما
جناه؛ فقد قتل نَفْسَيْنِ بسيفٍ واحد، إنما أطلبُ أن أُدْفَنَ بجانب ليلي، ويُكْتَبَ
على ضريحي هذان البيتان:

تَوَسَّدَ أَحجارَ اليمامة والقَفْرِ ومات جريح القلبِ مُندِمِلَ الصدرِ
فيا ليتَ هذا الحبَّ يَعشَقُ مرَّةً ليعلم ما يلقي المُحبُّ من الهجرِ

مهدي: نعم أنا أعتَرِفُ أمام السَّماء والأرض بأنني اقترفتُ جُرْمًا عظيمًا؛ لقد قتلتُ
ابنتي وابنَ أخي، ولم أُشْفِقْ على صباهما.

نعم جَنِينا ولم يَنْفَعْ تَجَنُّبنا ومن بَلَّيْتنا ضاق الفضا فينا
قتلتُ بنتي ولم أُشْفِقْ على ابنِ أخي وما افْتَكُرْتُ بأنَّ الدَّهرَ يُفْنِينا
فيا شَهِيدِي غرامِ إِنَّ قَتَلَكُما لَسَوْفَ يَذْكُرُهُ العُشَّاقُ باكِينا
ترَكْتُما بَيْننا حُزْنًا نموتُ به ومُتُّما رَجِمَ اللّهُ المُحِبِّينا

(انتهت)

